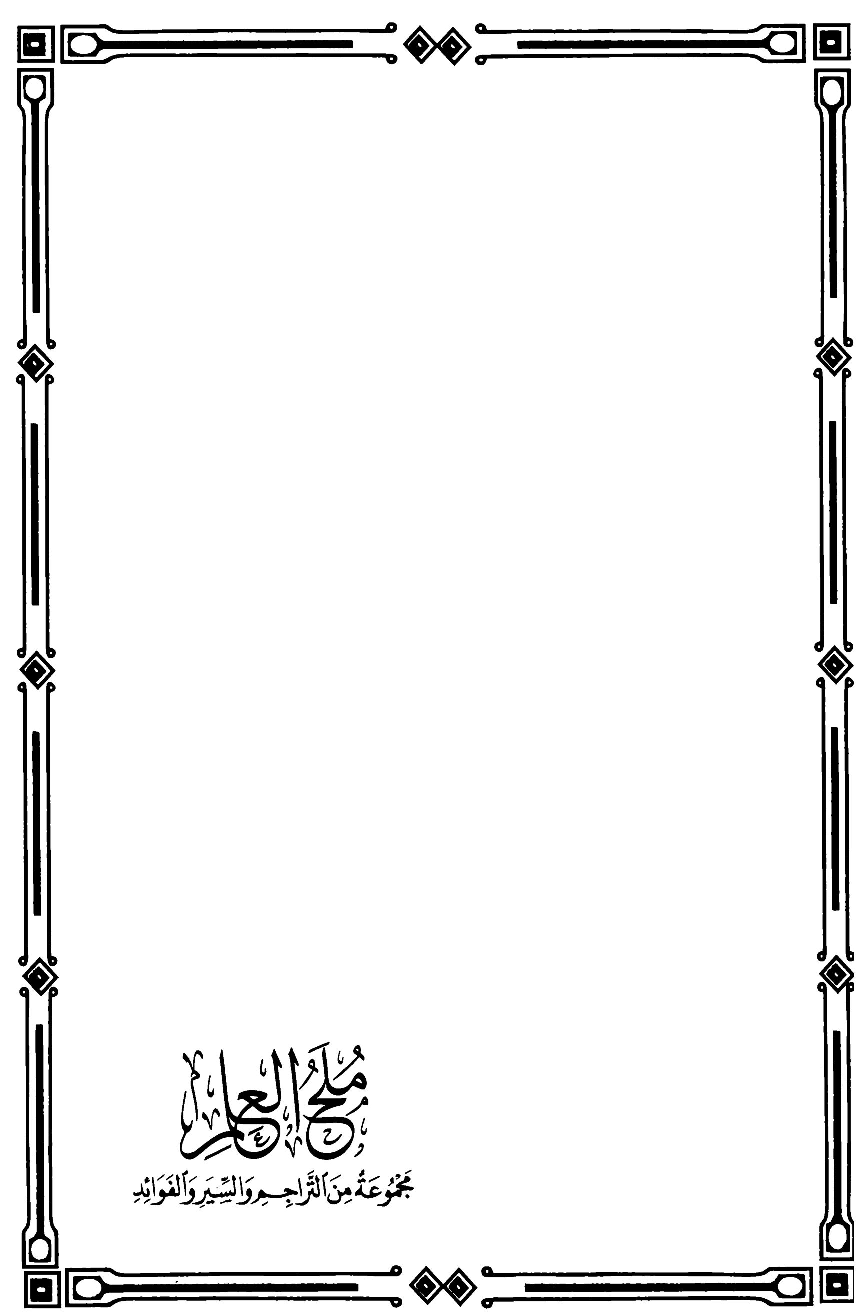
مُلَحُ العِلْم

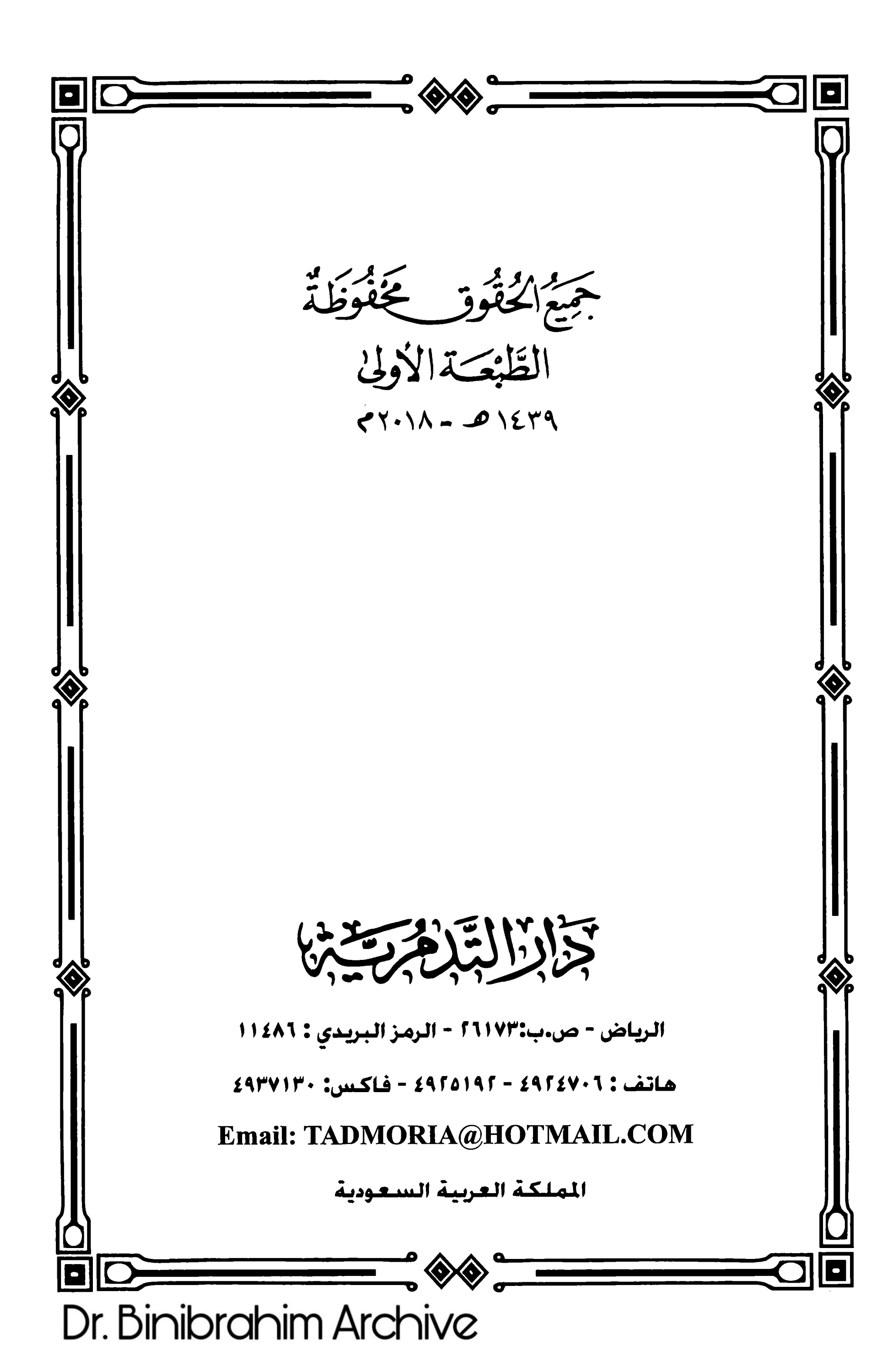
مجموعة مِن التراجِم والسِّيَر والفوائِد

تأليف

أ. د. هشام بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد آل الشيخ

دار التدمرية


مُلَحُ العِلْم
مجموعة من التراجم والسير والفوائد



الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

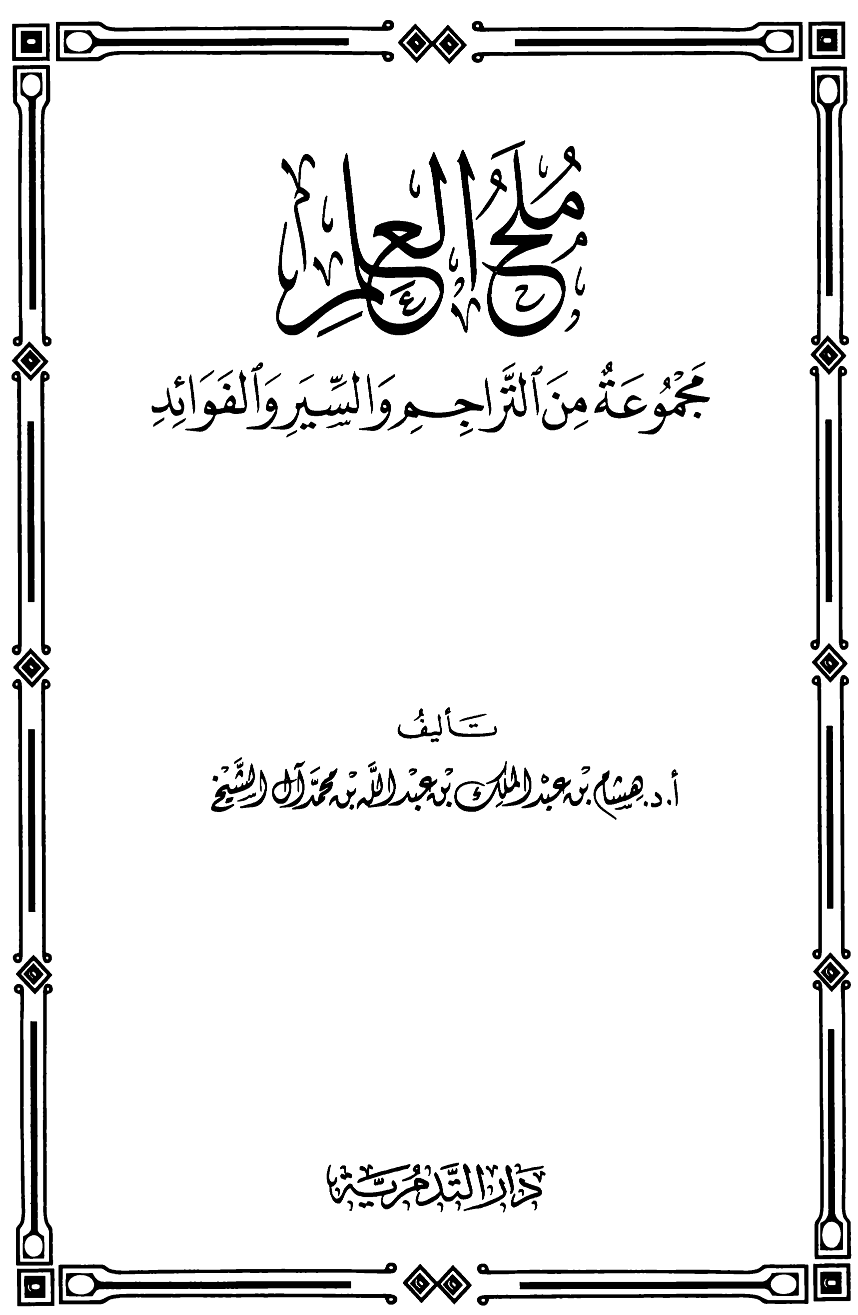
دار التدمرية

الرياض - ص.ب:٢٦١٧٣ - الرمز البريدي : ١١٤٨٦

هاتف : ٤٩٢٤٧٠٦ - ٤٩٢٥١٩٢ - فاكس: ٤٩٣٧١٣٠

Email: TADMORIA@HOTMAIL.COM

المملكة العربية السعودية



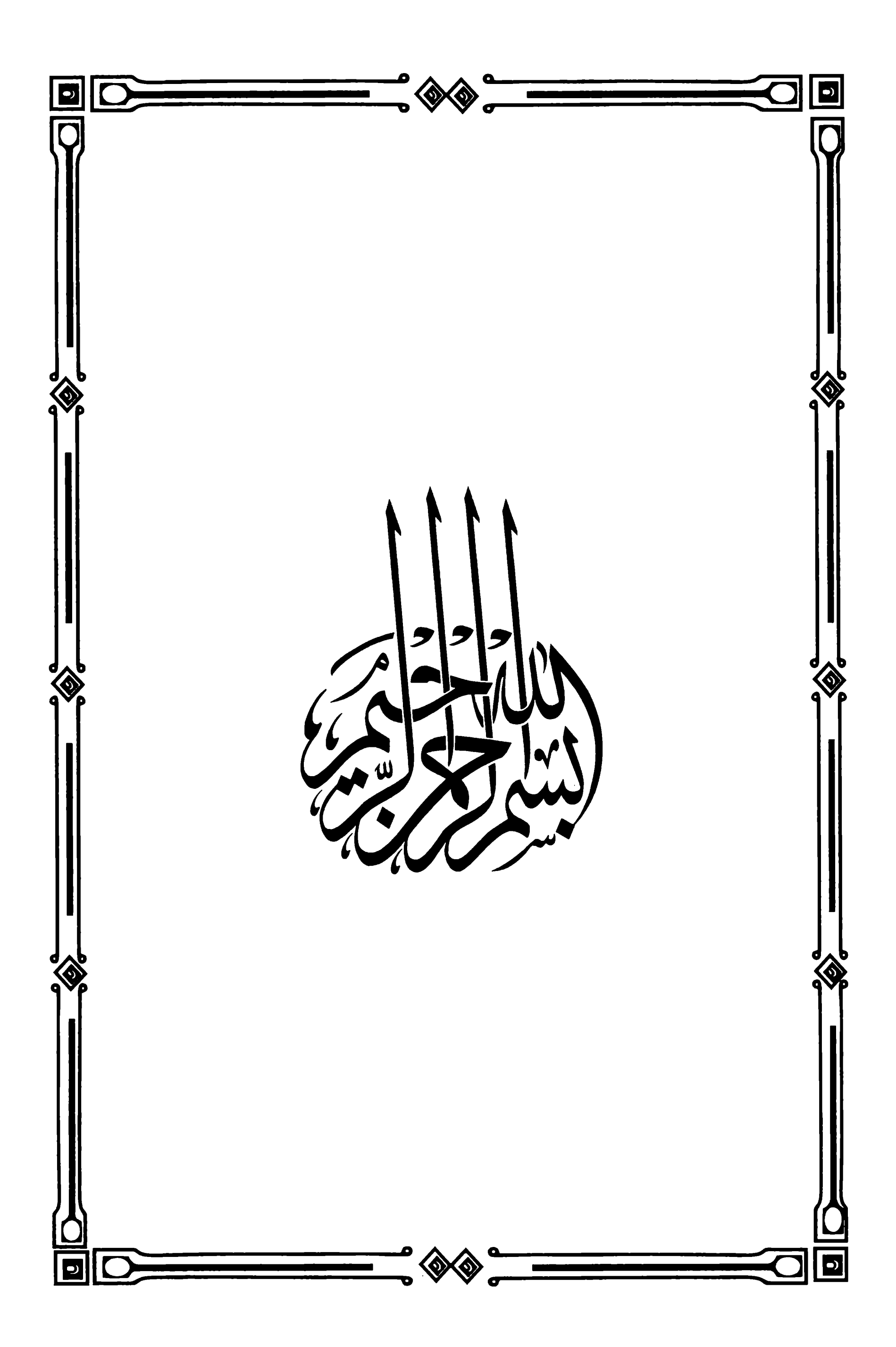
مُلَحُ العِلْم

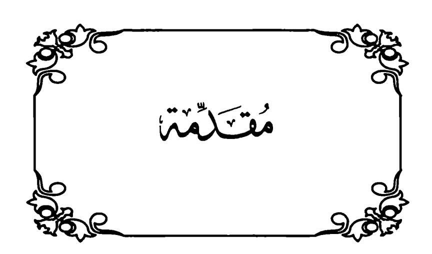
مَجْمُوعَةٌ مِنَ التَّراجِمِ وَالسِّيَرِ وَالفَوائِدِ

تأليف

أ.د. هشام بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد آل الشيخ

دار التدمرية


بسم الله الرحمن الرحيم



مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فهذه مجموعةٌ من التراجم والسير والفوائد العلمية، كُنتُ

قد ألّفتها وجمعتُها في مواضيع شتى، خلال سنواتٍ مضت، وقد رأيت بعد الاستشارة والاستخارة طباعتها لتكون بين يديك أخي القارئ الكريم، حتى تعم الفائدة بها، وتكون من العلم الذي ينتفع به بعد الممات، وقد اجتهدت في ترتيبها وتنسيقها وإخراجها، وأسميتها: **(مُلَحُ العِلم)**[1]، وجعلتها على قسمين:

❑ **القسم الأول: التراجم والسير.**

❑ **القسم الثاني: الفوائد العلمية.**

أسأل الله تعالى أن تكون براً وذخراً لي يوم القيامة، آمين.

أخي القارئ الكريم: هذا جهدُ المُقِلْ أقدمه مستحضراً قول القاضي عبدالرحيم البيساني وهو يعتذر إلى العماد الأصفهاني عن كلام استدركه عليه؛ حيث قال له: (إنه قد وقع لي شيءٌ وما أدري أوقع لك أم لا؟ وها أنا أخبرك به؛ وذلك إني رأيتُ أنه لا يَكتُبُ أحدٌ كتاباً في يومهِ إلا قال في غَدِهِ: لوْ غُيِّرَ هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يُستحَسن، ولو قُدِّم

---

(١) قال شيخنا العلامة معالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ في أحد مجالسه العلمية: (من المعلوم أنّ العلم قسمان كما يقول طائفة من أهل العلم، منهم الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ في أول المقدمة التاسعة من كتاب الموافقات: (العلم قسمان عُقَدٌ ومُلَح)، والعُقَدُ: تعقد القلب مع العلم، والمُلَحُ: لابد منها للمسير في طلب العلم، واستمرار المرء بِعُقَد العلم يعني بقوي العلم وأصوله ومنهجيته دون مُلَحِهِ؛ قد يجعل المرء يكسل أو يمل؛ لأنّ النفس حُمضة تحتاج إلى أنْ تصقل وتزال بشيء من الملح.

إذاً العلم عقدة هي الأصل، وهي الغاية، ومُلَحُهُ وسيلة لهذه الغاية، وسيلة لتقوية الذهن ولتوسيع المعارف).

هذا لكان أفضل، ولو تُرِك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر)[١].

فمن الله وحده أستمد العون والرشاد والتوفيق أولاً وآخراً، وإياه أستغفر من خطئي وزللي، وما بدر مني، فهو وحده ﷻ العليم بشأني وحالي، ثم أسأل من يطالعه أن يبادر بتنبيهي عن الخطأ، فالكل معرضٌ للخطأ، وجلَّ من لا يخطئ.

أسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم وبارك على أشرف خلق الله محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه أفقر العباد لربه
هشام بن عبدالملك بن عبدالله بن محمد آل الشيخ
لليلتين مضتا من ذي القعدة عام ١٤٣٨هـ
في رياض نجد

---

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة ١/١٤، وأبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، لصديق حسن خان القنوجي ١/٧٠.



القسم الأول

التراجم والسير

ترجمة الوالد
عبدالملك بن عبدالله بن محمد بن عبداللطيف رَحِمَهُ اللهُ

أبو هشام، الشيخ والأستاذ والأديب عبدالملك بن عبدالله بن محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن بن شيخ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمة الله عليهم جميعاً، ولد رَحِمَهُ اللهُ في الرياض عام ١٣٥٩هـ في بيت علم وفضل، توفي والده وهو لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، وكفلته والدته الجدة العابدة المربية سارة بنت إبراهيم الجهيمي رحمها الله[1]، وقرأ القرآن الكريم على يد الشيخ محمد بن سنان رَحِمَهُ اللهُ في ذلك الوقت، وأخذ يطلب العلم ويقرأ على المشايخ في وقته مبادئ العلوم حتى التحق بمعهد الرياض العلمي عام ١٣٧٥هـ، ودرس أيضاً في دار التوحيد بالطائف لمدة سنتين، وحصل على الشهادة الثانوية من معهد الرياض العلمي عام ١٣٨١هـ، ثم درس في كلية اللغة العربية عام ١٣٨٢هـ، وحصل على شهادة الليسانس عام ١٣٨٥هـ في اللغة العربية.

عُيِّن مدرساً بمعهد الدلم العلمي عام ١٣٨٦هـ، ثم نُقِل إلى الرياض ليُدْرِّس في معهد إمام الدعوة العلمي عام ١٣٨٨هـ،

---

(١) لها ترجمة في هذا الكتاب.

ثم عمل مفتشاً تربوياً في وزارة المعارف عام ١٣٩١هـ وظلَّ حتى عام ١٣٩٩هـ، حيث انتقل إلى وزارة العدل مستشاراً في مكتب الوزير حتى وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ طويلاً، نحيل الجسم، ليس بكثِّ اللحية، يميل إلى السُمْرة، وكان على جانب كبير من الأخلاق الحسنة، وبشاشة الوجه، وانشراح الصدر، يحب المشاركة في الرأي والحديث، حاضر البديهة، سريع الانتباه، فصيح اللسان، جميل الخط، إذا تكلم في الأدب والحكمة أثرى المجلس بذلك، له نكت حسان، يحبه القاصي والداني، ويأنس بمجالسته الأبناء والأقارب والأصدقاء.

كان له درس بعد صلاة العصر كل يوم في المسجد القريب من سكنه بحي ظهرة البديعة يشرح رياض الصالحين للإمام النووي، استمر قرابة العشر سنوات حتى انتقل إلى حي العليا بشمال الرياض في حدود عام ١٤١٠هـ.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ باراً بوالدته، إذ هو أكبر أولادها الذكور، له من الإخوة خمسة:

- العم عبدالملك الأول ومات صغيراً.
- العمة الجوهرة (أم سعود) وتوفيت قبله بثمانين يوماً رحمها الله.
- سماحة العم الشيخ عبدالعزيز مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارات البحوث العلمية والإفتاء، أطال الله بقاءه على طاعته.

- العم الأستاذ عبدالمحسن (أبو رياض) أطال الله بقاءه على طاعته.

- العمة نورة، ولدت عام ١٣٧٠هـ، ـ قبل وفاة والدها بسنة ـ وتوفيت في عامها الثاني على أثر مرض الجدري رحمها الله.

تزوج رحمه الله عام ١٣٩٠هـ من منيرة بنت الشيخ عبدالله بن صالح بن محمد آل الشيخ، وأنجبت له ثلاثة أولاد هم: هالة وهشام ووليد، ثم تزوج من حصة بنت الشيخ إبراهيم بن حمد المزروع عام ١٤٠٣هـ وأنجبت له ستة أولاد هم: زياد ورضاب وعبدالله وأنس ولميس وعبدالعزيز، بارك الله فيهم ونفع بهم الإسلام والمسلمين.

أثناء عمله رحمه الله في وزارة المعارف مفتشاً تربوياً سافر عدة مرات إلى خارج المملكة مدرساً ومفتشاً، فقد سافر إلى أفغانستان، ودرَّس بجامعة كابل عدة سنوات، وكتب هناك مجموعة مقالات، كانت تذاع عبر أثير إذاعة الكويت، والذي يصل بثها في ذلك الحين إلى كابل، ولما قامت الثورة على الملكية في أفغانستان في حدود عام ١٣٩٨هـ خرج منها راجعاً إلى المملكة عبر البر، فمرَّ على إيران وزار: شيراز وعبدان، ثم البصرة وبغداد بالعراق ومرَّ بالكويت، ويحكي لي العم الفاضل الشيخ محمد بن عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ متع الله به على طاعته، أن الوالد رحمه الله زارهم في إيران لمَّا كان العم الشيخ محمد بن عبدالرحمٰن آل الشيخ ملحقاً ثقافياً في شيراز بإيران في حدود عام ١٣٩٥هـ، وله مناظرات مع بعض الروافض، يقول لي فضيلة الدكتور الشيخ صلاح بن

محمد بن عبدالرحمن آل الشيخ وفقه الله وسدده: زارنا الشيخ عبدالملك رحمه الله في شيراز وكنت وقتها صغير السن، ورأيته يناقش أحد المعممين نقاشاً علمياً حول تقرير مسائل العقيدة والتوحيد، في أحد المساجد الكبيرة بشيراز، حتى اجتمع عليه جمعٌ من طلاب ذلك المعمم، فخشي الرافضي من تأثر طلابه بالشيخ عبدالملك، فأنهى النقاش وصرف طلابه عنه.

انتُدِب إلى اليمن بتاريخ ١٣٩٦/١٠/٢٧هـ، وعمل ودرَّس بصنعاء اليمن اللغة العربية والتربية الإسلامية، وكان مفتشاً على المدرسين السعوديين المبتعثين هناك، ثم سافر إلى تونس وسوريا والأردن ومصر والسودان وأثيوبيا ولبنان وإيران والعراق والهند وغيرها.

أصيب رحمه الله بمرض عضال عام ١٤١٢هـ وسافر للعلاج في الولايات المتحدة الأمريكية مع شقيقه العم (أبي رياض) عبدالمحسن فمنَّ الله عليه بالشِفاء، ثم عاودهُ المرض في صيف عام ١٤١٨هـ، وكان حينها في الطائف، وسافر للعلاج في الولايات المتحدة الأمريكية، وكنت مرافقاً معه، فنزلنا في ضيافة العم عبدالمحسن إذ كان يعمل في الملحقية الثقافية بواشنطن، ومكثنا هناك قرابة الشهر.

لم يجد الوالد رحمه الله مزيد فائدة علاجية من سفرته تلك، إذ كان المرض قد تمكن منه، ثم عاد للرياض ومكث في بيته، حتى اشتد عليه المرض، فرفض الذهاب للمستشفى حتى أقنعه معالي الدكتور مطلب بن عبدالله النفيسة وكان جار الوالد الملاصق في

بيته بالعليا، فأدخل مستشفى الملك فيصل التخصصي يوم الأربعاء عصراً.

رافقته طوال الأيام الثلاثة التي كان فيها بالمستشفى، ومع شدة المرض وما يسببه له من إغماء؛ إلا أنه كان صابراً محتسباً، بل كان يشعرنا بأن الأمر يسير، فكان يداعبنا ويمازحنا وهو على تلك الحالة رَحِمَهُ اللَّهُ.

زاره الشيخ الفاضل بدر بن صالح الجويان قبل وفاته بأيام، ولما خرج منه قال لي: أتيت للسلام عليه، وتذكيره بآلاء الله ونعمه، وحثه على الصبر، فوجدته صابراً محتسباً وقدم لنا موعظة عظيمة تدل على صبره واحتسابه حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ: عبيده وبين يديه يقلبنا كيف يشاء، رضيت بما قسم الله لي وسلمت أمري لله.

وفي مساء يوم الجمعة بعد صلاة العشاء اشتد عليه الأمر، وكان سرير الغرفة بالمستشفى عكس اتجاه القبلة، فطلب مني أن يتوضأ، فقربت له التيمم فرفض إلا أن يتوضأ بالماء، فحملته أنا والممرض وتوضأ، ثم طلب مني أن يكون في سريره مواجهاً للقبلة، ثم شرع يصلي ما شاء الله له أن يصلي، وكانت الإغماءات تتخلل صلاته، وفي كل مره أحركه بيدي للاطمئنان عليه، حتى إن الممرض في المستشفى رافق معي في الغرفة طوال تلك الليلة.

وكان آخر ما قال لي الوالد قبل وفاته بدقائق رَحِمَهُ اللَّهُ: (هشام كن مع الله ولا تبالِ)، ثم أسلم الروح لبارئها، رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه الله عني وعن إخوتي وأخواتي خير الجزاء، وجمعنا الله به في دار كرامته ومستقر رحمته.

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ فجر يوم السبت الموافق ١٤١٨/١٠/٢٤هـ وصلي عليه في جامع الإمام تركي بن عبدالله بالرياض، وقد أم المصلين أخوه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ، وحضر الصلاة عليه جمع غفير، يتقدمهم خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز وكان وقتها أميراً للرياض، وحضر الصلاة عليه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

قلت: إني لأرجو أن يكون شهيداً، فقد ثبت في الحديث أن النبي ﷺ جاء يعود عبدالله بن ثابت رضي الله عنه فوجدهُ قد غُلِبَ فَصَاحَ به رسول الله ﷺ فَلَمْ يُجِبْهُ، فَاسْتَرْجَعَ رَسُولُ الله ﷺ وقال: (غُلِبْنَا عَلَيْكَ يَا أَبَا الرَّبِيعِ). قالت ابنتهُ: والله إنْ كُنْتُ لأرجو أَنْ تكون شهيداً، فإنَّكَ كنت قد قضيت جِهازَك. قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ الله ﷻ قَدْ أَوْقَعَ أَجْرَهُ عَلَى قَدْرِ نِيَّتِهِ، وَمَا تَعُدُّونَ الشَّهَادَةَ)؟، قَالُوا: القتل في سبيل الله. قال رسول الله ﷺ: (الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى الْقَتْلِ في سَبِيلِ الله، الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدٌ)(١).

والوالد مات مبطوناً رَحِمَهُ اللَّهُ، ومهما قلت عن الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ فلن أفيه حقه.

---

(١) حديث صحيح، ورجال إسناده ثقات رجال الشيخين، وهو عند مالك في الموطأ ٢٣٣/١-٢٣٤، ومن طريقه أخرجه الشافعي في مسنده ١٩٩/١-٢٠٠، وأبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب في فضل من مات في الطاعون، برقم: ٣١١٣، والنسائي في المجتبى، كتاب الجنائز، باب النهي عن البكاء على الميت ١٣/٤-١٤، برقم: ١٨٤٦، وابن حبان في صحيحه برقم: ٣١٨٩ ورقم: ٣١٩٠، والحاكم في المستدرك ٣٥١/١، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي.

الصفحة الأولى من وصيته بخط يده رحمه الله

الإثنين ٣/٧/١٤١٠هـ.

"وصيتي"..

بسم الله الرحمن الرحيم..

الحمد لله القائل: كل نفس ذائقة الموت

والقائل: كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام.. والقائل: أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة..

والشكر له شكراً يليق بجلاله جلت قدرته إذ جعل الموت جسراً عدلاً بين خلقه - وحياضاً يستقي منه الإنسان والحيوان...

اللهم إن كان براً فاجعل البر راحة.. وإن كان غضباً فاقض ما أنت قاضيا..

اللهم لا جزع ولا فزع ولا هلع مما قضيته وقدرته فلك الحمد حتى تعفو.. ولك الشكر حتى ترضى

وفي كلا الحالتين رضيت.. فآمنت بك اللهم رباً

ترجمة الجد
عبدالله بن محمد بن عبداللطيف رَحِمَهُ اللَّهُ

الشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

ولد في الرياض في حدود عام ١٣٢٩هـ، في بيت علم وفضل، فوالده الشيخ محمد بن عبداللطيف مفتي نجد وكبير علمائها في زمانه، ووالدته لولوة بنت حمد الهلال من أهالي نعام أحد المراكز التابعة لمحافظة الحريق.

حفظ القرآن الكريم صغيراً على يد الشيخ ابن مفيريج، ولازم دروس العلماء في وقته، فقرأ على والده الشيخ محمد بن عبداللطيف، وعلى ابن عمه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ولازمه في دروسه، وأدرك عمه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف ولعله قرأ عليه مبادئ العلوم، وقرأ أيضاً على الشيخ ابن فارس في النحو والفرائض، وقرأ على الشيخ محمد بن عبدالرزاق حمزة في مكة المكرمة؛ قرأ عليه تفسير ابن كثير كاملاً، فقد ورد في نسخة[1] (كتاب التفسير) للحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "بلغ مقابلةً

---

(١) موجودة صورتها في مكتبة الملك فهد الوطنية.

وتصحيحاً على نسخة الحرم الشريف على شيخنا الشيخ محمد بن عبدالرزاق حمزة، تجاه الكعبة المشرفة (١٢صفر، سنة١٣٦٠هـ)، عبدالله بن الشيخ محمد بن عبداللطيف"[١].

وقرأ على غيرهم من العلماء الذين عاصرهم وأدركهم في مكة المكرمة، وأمَّ الجامع الكبير بالرياض جامع الإمام تركي بن عبدالله، لعدة سنوات.

ذكر الشيخ الفاضل أبو عبدالله أحمد بن عبدالرحمٰن العوين رحمه الله (ت:١٤٣٨هـ) في كتابه علماء آل الشيخ (الطبعة الثانية) أن المترجم رحمه الله متمكِّنٌ في علوم العقيدة والتفسير واللغة، وقد وجدت له تملكات على بعض الكتب المطبوعة والمحفوظة في المكتبة السعودية، وهي:

١ ـ كتاب (تفسير ابن كثير) السابق ذكره.

٢ ـ كتاب (اجتماع الجيوش الإسلامية) لابن القيم رحمه الله.

٣ ـ كتاب (ألفية ابن مالك) وفي حاشيته شرحها (إرشاد السالك) للشرنوبي.

كُتِبَ عليها عبارة: " قد دخلت في ملك عبدالله بن الشيخ محمد بن عبداللطيف" ، والتاريخ غير واضح، لعله عام ١٣٦٠هـ.

قلت: ولعل قراءته على الشيخ محمد بن عبدالرزاق حمزة رحمه الله كانت لما جاور لعدة سنوات في مكة المكرمة، حيث سافر

---

(١) ذكر ذلك الشيخ أحمد بن عبدالرحمٰن العوين رحمه الله في كتابه علماء آل الشيخ.

الجد رحمه الله لأداء فريضة الحج في حدود عام ١٣٥٩هـ، ثم آثر بعد ذلك المجاورة في الحرم المكي الشريف، وعمره إذ ذاك ثلاثون سنة، فسكن في مكة المكرمة، وانصرف للعبادة وطلب العلم على علماء الحرم، وخاصة الشيخ محمد بن عبدالرزاق حمزة رحمه الله، وقد نقل الجدة رحمها الله معه، حيث وُلِد له في مكة المكرمة سماحة العم الشيخ عبدالعزيز في الثالث من ذي الحجة عام ١٣٦٢هـ.

كان رحمه الله نحيل الجسم، طويل القامة، ليس بكث اللحية، فصيح اللسان، جميل الخط، ملازماً للعبادةِ والزهد والتواضع، معرضاً عن الدنيا، يقضي معظم وقته في المسجد، وقد حدثني العم الشيخ محمد بن عبدالرحمٰن بن إسحاق رحمه الله وكذا العم الشيخ محمد بن عبدالرحمٰن بن عبداللطيف متع الله به على طاعته، أن الوالد عبدالملك رحمه الله كان يشبه في خلقته والده الشيخ عبدالله رحمهم الله جميعاً.

قال عنه الشيخ إسماعيل بن عتيق: (طالب علم، وقد عاجلته المنية في ريعان شبابه، ويُذْكَر من تعبده ونسكه الشيء الكثير، وكان قليل الاختلاط بالعامة وسواد الناس)[1].

له من الإخوة والأخوات الأشقاء أربعة وأختٌ واحدةٌ لأب، وهم:

١ ـ العمة الجوهرة وهي الكبرى، تزوجت من الشيخ محمد بن

(١) معالم من سيرة عالم ص: ٣٠.

إسحاق بن عبدالرحمٰن بن حسن، وتوفيت في شبابها، وأنجبت بنتاً واحدة هي العمة سارة رحم الله الجميع[١].

٢ ـ العمة لطيفة، تزوجت من ابن عمها الشيخ عبدالله بن الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ، وأنجبت له عشرة من الأولاد ماتوا صغاراً، ولم يعش منهم إلا العم الشيخ إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢].

٣ ـ العم الشيخ عبدالرحمٰن وهو أكبر من الجد بحوالي أربع عشرة سنة، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ على جانب كبيرٍ من الدين والزهد، قرأ على والده، وعلى عمه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف،

---

(١) العمة سارة بنت محمد بن إسحاق بن عبدالرحمٰن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ولدت في منتصف الثلاثينيات الهجري من القرن الماضي، وتوفي والدها ووالدتها وهي صغيرة في السن، فعاشت يتيمة الأبوين، وكفلها عمها الشيخ عبدالرحمٰن بن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ وزوجها من إبنه معالي الشيخ محمد بن عبدالرحمٰن بن إسحاق آل الشيخ، وأنجبت له أحد عشر ولداً، مات منهم تسعة في سن الصغر رحمهم الله، وعاش لها معالي الدكتور عبدالله بن محمد بن عبدالرحمٰن بن إسحاق، والعمة منيرة، وكانت العمة سارة بنت محمد موصوفة بالجمال، وحسن الهيئة، كريمة المحيَّا، باسمة الثغر، واصلة لرحمها، توفيت في التسعين من عمرها عام ١٤٢٨هـ، رحمها الله رحمة واسعة.

(٢) توفي العم الشيخ إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ بالرياض، يوم الثلاثاء الموافق ٢٠ من شهر شعبان عام ١٤٣٨هـ، عن عمر ناهز التاسعة والثمانين، أثر مرض عضال لم يمهله طويلاً، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من وجهاء الأسرة، واصلاً لرحمه، محباً للخير، وعلى جانب كبير من العطف ولين الجانب ودماثة الخلق، خلَّف من الذكور ثلاثة هم: معالي الشيخ عبدالمحسن بن إبراهيم قاضي الاستئناف السابق، والأستاذ عبدالعزيز، والأستاذ عبدالله، ومن الإناث سبعة هم: سلطانة، وهند، ونازك، ومها، ونوف، ولينا، وفهدة، رحم الله العم إبراهيم بن عبدالله وأسكنه الجنة.

وخلَّف خمسة أبناء هم: العم الشيخ عبداللطيف رَحِمَهُ اللَّهُ وتوفي عام ١٤٢٥هـ، والعمة الجوهرة رحمها الله وتوفيت عام ١٤٣٦هـ، والعم الشيخ عبدالعزيز أحسن الله له الخاتمة، والعم الشيخ حسن وهو أخو الوالد عبدالملك من الرضاع متعه الله بالطاعة، والعم الشيخ عبدالله متعه الله بالطاعة.

توفي العم الشيخ عبدالرحمٰن عام ١٣٩٣هـ في مصر، ونقل للرياض وصلي عليه بالجامع الكبير بالديرة جامع الإمام تركي بن عبدالله، رحمه الله رحمة واسعة.

٤ ـ العم الشيخ إبراهيم وهو أصغر من الجد بعدة سنوات، سكن مكة المكرمة، وكان إماماً لأحد المساجد بها، وعمل في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في مكة المكرمة، وصلي عليه بالحرم المكي في السادس عشر من شهر رمضان عام ١٤١٤هـ، خلَّف خمسة أبناء ذكور هم: عبداللطيف ومات في شبابه ولم يعقب رَحِمَهُ اللَّهُ، والأستاذ محمد، والأستاذ عبدالله، والأستاذ عبدالمحسن رَحِمَهُ اللَّهُ توفي عام ١٤١٥هـ، والأستاذ عبدالعزيز، ومن الإناث أربع وهم: لولوة، وفوزية، ومها، وهيفاء، رحم الله العم الشيخ إبراهيم بن محمد وأسكنه الجنة.

٥ ـ العمة حصة وأخوالها البيز من العيسى من أهالي شقراء، حيث تزوج الجد الشيخ محمد بن عبداللطيف من والدتها لما كان قاضياً بشقراء، وأنجبت له العمة حصة، وهي أخت الجد عبدالله الصغرى من الأب، تزوجت العمة حصة من

العم الشيخ عبدالله بن محمد الصحابي آل الشيخ رحمه الله،
وأنجبت له ثلاثة أولاد هم: الدكتور عبدالملك رحمه الله[١]،
والأستاذ عبدالمحسن، والعمة الجوهرة.

توفيت العمة حصة بعد وفاة ابنها الدكتور عبدالملك بسنة، في التاسع من محرم عام ١٤٢٦هـ، عن عمر ناهز التسعين رحم الله الجميع.

فالجد عبدالله رحمه الله هو الأوسط بين إخوانه وأخواته.

تزوج من الجدة المربية العابدة سارة بنت إبراهيم الجهيمي رحمها الله[٢]، من أهالي الدرعية من بيت فضل وكرم، في أواخر الأربعينيات من القرن الماضي، ولم يتزوج غيرها، وأنجبت له:

١ - عبدالملك الأول ومات صغيراً.

٢ - العمة الجوهرة (أم سعود) رحمها الله، ولدت في منتصف الخمسينات من القرن الماضي، وكانت وقت وفاة الجد في عمر الخامسة عشرة، كانت العمة الجوهرة بنت عبدالله بن محمد رحمها الله ذاتُ عقلٍ ورأيٍ وهيبةٍ، تزوجت من الأمير محمد بن عبدالعزيز بن سعود بن فيصل بن تركي آل سعود (المطوع)، ولم تدم معه طويلاً، فتزوجت من بعده الأمير عبدالله بن سعود بن ناصر بن فرحان آل سعود، وأنجبت له

---

(١) توفي على إثر عملية في القلب بمستشفى دلة بالرياض في السابع من محرم عام ١٤٢٥هـ رحمه الله.

(٢) أفردت لها ترجمة في هذا الكتاب.

الأمير سعود، وثلاثة بنات الأميرة هند والأميرة غادة والأميرة مضاوي.

أصيبت العمة الجوهرة بمرض عضال وسافرت للولايات المتحدة الأمريكية للعلاج عدة مرات، ورافقتها الجدة سارة الجهيمي في إحدى سفراتها وكنت مرافقاً للجدة في صيف عام ١٤١٧هـ، إلا أن المرض قد تمكن منها، وتوفيت هناك رحمها الله أول شهر شعبان عام ١٤١٨هـ، عن عمر ناهز الخامسة والستين، وصلي عليها في الجامع الكبير بالرياض جامع الإمام تركي بن عبدالله، وقد أم المصلين شقيقها سماحة العم الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ.

٣ ـ الوالد عبدالملك رحمه الله ولد في عام ١٣٥٩هـ.

٤ ـ سماحة العم الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ مفتي عام المملكة متع الله به على طاعته، وأبقاه لنا ذخراً، ولد بمكة في ذي الحجة عام ١٣٦٢هـ.

٥ ـ العم الأستاذ عبدالمحسن (أبو رياض) حفظه الله ورعاه، وولد عام ١٣٦٥هـ، وأكمل تعليمه النظامي بالرياض، ثم سافر لإكمال تعليمه الجامعي بالولايات المتحدة الأمريكية، وبعد تخرجه التحق بالعمل بوزارة التعليم العالي.

٦ ـ العمة نورة، ولدت عام ١٣٧٠هـ، أي قبل وفاة والدها بسنة، أصيبت بمرض الجدري وهي لم تتجاوز عامها الثاني وماتت صغيرة رحمها الله، وسمعت العم سماحة الشيخ عبدالعزيز يقول: (كنت صغيراً لم أبلغ الثامنة من عمري لمَّا ولدت

أختي نورة، وفرحت بمقدمها فرحاً شديداً، ولم تتجاوز السنة والنصف حتى أصيبت بمرض الجدري ولم يطل معها المرض كثيراً فتوفيت، فحزنا لوفاتها حزناً شديداً، وكانت وفاتها بعد وفاة الوالد رحم الله الجميع).

قلت: ولعل سماحة العم الشيخ عبدالعزيز سمى أكبر بناته عليها رحمها الله.

كان الجد رَحِمَهُ ٱللَّهُ حريصاً كل الحرص على تعليم أولاده وتنشئتهم التنشئة الصالحة، وذلك بحفظ القرآن الكريم وضبطه، فألحق أبناءه في سن مبكرة بمدرسة الشيخ محمد بن سنان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليتقنوا حفظ القرآن الكريم كاملاً، حدثني الوالد الشيخ عبدالملك رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: دخلت مسجد الشيخ في دخنة[١] بعد العصر فإذا بالوالد في سرحة المسجد يقرأ القرآن الكريم، فلما رآني قال لي تعال، وأجلسني أمامه وطلب مني أن أقرأ سورة (ق) حفظاً، وكنت وقتها في سن صغير لم أكمل بعد حفظ القرآن الكريم، فلما شرعت بالقراءة وانتصفت في السورة وقع مني خطأ في الحفظ، وكانت سرحة المسجد وقتئذ مفروشة بالحصباء[٢]، فقبض قبضة من الحصباء ورماني بها، فمكث أثر ذلك في جسدي عدة أيام فأتقنت بعدها حفظ سورة (ق).

---

(١) مسجد الشيخ بدخنة عرف بهذا الاسم، وينسب لأول من بناه وهو الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ! ثم إن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَمَّ المسجد في الفروض، وكانت دروسه فيه، فسمي بمسجد الشيخ محمد بن إبراهيم وهي التسمية المعروفة الآن.

(٢) الحصباء: الحصى، وأرض حصبة ومحصبة بالفتح: ذات حصباء. وحصبت المسجد تحصيباً، إذا فرشته بها. انظر تاج العروس ٢/٢٨٤.

كان الجد رَحِمَهُ اللهُ ذكياً فطناً سريع البديهة ذا فِراسةٍ، آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم.

سمعت عدة مرات الشيخ الفاضل عبدالعزيز بن عبدالرحمن المقيرن ـ أحسن الله له الخاتمة ـ وهو ممن عاصر الجد؛ سمعته يحدث عنه وعن فراسته الشيء الكثير.

كان رَحِمَهُ اللهُ يؤم المصلين لصلاة التراويح في شهر رمضان في الجامع الكبير ويختم في الشهر مرتين.

ويذكر أن له تسجيلاً قديماً في إذاعة الرياض (عبارة عن مقابلة أو نصيحة عامة) كانت بتقديم المذيع زهير الأيوبي في حدود أواخر العقد السادس وأوائل العقد السابع من القرن الماضي.

عمل كاتباً في جباية الزكاة فترة من الزمن ليست بالطويلة، وكان أهل المحمل يسمونه (مرقب الرغبة) لطول قامته رَحِمَهُ اللهُ[(١)].

سافر إلى مكة في حدود عام ١٣٧١هـ وأصيب بمرض في الكلية وقيل التهاب في الرئة، نقل على إثره للمستشفى اللبناني بجدة، فتوفي يوم الأربعاء الحادي عشر من شهر ربيع الأول عام ١٣٧١هـ، عن عمر يقارب اثنين وأربعين سنة، وحمل جثمانه إلى مكة المكرمة، ودفن بها بعد أن صلي عليه بالمسجد الحرام، وقد أم المصلين سماحة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ رئيس القضاة في المنطقة الغربية، ونشر خبر وفاته في جريدة أم القرى.

---

(١) أفاد بذلك الدكتور الفاضل حمد بن إبراهيم الحيدري نقلاً عن والده حفظهما الله.

ونقل خبر وفاته بالبرقية للرياض لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ، فأرسل ابنه معالي الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ ليبلغ الجدة بخبر وفاته، فجاءهم الخبر بعد الظهر، وكان الوالد عبدالملك لم يتجاوز الثانية عشرة من العمر، وسماحة العم الشيخ عبدالعزيز لم يتجاوز الثامنة من عمره، والعم عبدالمحسن لم يتجاوز الخامسة من عمره.

ولعل سفره لمكة المكرمة كان لقصد العلاج في المستشفى المذكور في جدة، إذ عَهِدَ للشيخ عبداللطيف بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ قبل سفره أن يرعى أولاده الصغار من بعده إن هو لم يرجع من سفره ذلك.

يقول لي سماحة العم الشيخ عبدالعزيز حفظه الله: (حياتي مع الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ كأنها حلم لا أذكرها لصغر سني).

وتحدثني الجدة رحمها الله فتقول: كان خبر وفاته كالصدمة الكبيرة لنا، حيث توفي في سن الثانية والأربعين من العمر، وحزنتُ على فراقِهِ، وصبرتُ على لوعة الفراق مستعينة بالله تعالى في تربية أولادي ليكونوا عقباً صالحاً لوالدهم.

رحم الله الجد عبدالله رحمة واسعة، وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

ترجم له العم الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن عبدالعزيز بن محمد بن علي بن محمد بن عبدالوهاب في كتابه البيان الواضح لأسرة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب حتى سنة ١٣٩٣هـ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (عبدالله بن محمد بن عبداللطيف طالب علم وقد عاجلته

المنية في ريعان شبابه رَحِمَهُ اللَّهُ وقد أنجب ثلاثة أبناء وهم: عبدالملك وعبدالعزيز وعبدالمحسن)[١].

وترجم له الشيخ عبدالله البسام في علماء نجد خلال ثمانية قرون، ونقل عن الزركلي في الأعلام[٢] ترجمة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، فأخطأ في ترجمته، حيث خلط بين الجد وبين عمه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف رَحِمَهُ اللَّهُ، حتى إن الترجمة المذكورة لا تصدق بكاملها على الشيخ عبدالله بن عبداللطيف رَحِمَهُ اللَّهُ، إذ قال ـ عفا الله عنا وعنه ـ: (أخذ العلم في المدينة ومصر وتونس، وساح في مراكش وجنوب آسيا والهند والأفغان وإيران والعراق، وكان مع آل سعود في جلائهم إلى الكويت)[٣]، والشيخ عبدالله بن عبداللطيف رَحِمَهُ اللَّهُ لم يأخذ العلم في هذه البلدان ولم يزرها، ولم يكن مع آل سعود في جلائهم للكويت بل بقي في الرياض، رحم الله الجميع.



---

(١) البيان الواضح ص: ٢١.

(٢) الأعلام ٤/٩٩.

(٣) علماء نجد خلال ثمانية قرون ٤/٤٥٧.

سيرة الجدة
أم عبدالملك سارة بنت إبراهيم الجهيمي رحمها الله

الجدة المربية العابدة سارة بنت إبراهيم بن يحي بن محمد الجهيمي، ولدت في الدرعية في بيت فضل وكرم، في حدود منتصف العقد الرابع من القرن الماضي وبالتحديد كما تحكي هي رحمها الله أن مولدها كان في سنة (الرحمة) عام ١٣٣٧هـ، وأسرة الجهيمي من قبيلة السهول العدنانية من بني سهل بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة، سكنت أسرة الجهيمي الدرعية، ثم انتقلت إلى الرياض.

أخوالها من آل سيف الملقبين بآل عبيد من أهالي الدرعية، تقول لي الجدة رحمها الله أنه لم يبقَ أحد من أخوالها، وأنهم انقطعوا جميعاً.

نشأت رحمها الله نشأةً صالحة، فتعلمت قراءة القرآن الكريم منذ الصغر، وتزوجت من الجد عبدالله رحمه الله وهي لم تتجاوز الخامسة عشرة من العمر، في حدود عام ١٣٤٩هـ تقريباً[١]، وحُمِلت إلى الرياض واستوطنتها بعد ذلك.

---

(١) أفادني بذلك الخال الشيخ عبدالرحمٰن بن إبراهيم الجهيمي متع الله به على الطاعة.

سكنت في بيت الجد الشيخ محمد بن عبداللطيف رحمه الله وكانت تقوم بجميع شؤون البيت، وكان الجد محمد مضيافاً معروفاً بالكرم، وكانت الجدة تستيقظ قبل الفجر فتعجن العجين وتعد الضيافة.

أنجبت للجد عبدالله ستة أولاد[1]، ولها من الإخوة ثلاثة:

- الخال يحي الجهيمي وكان موظفاً في مصلحة المياه، أصيب بمرض عضال توفي على إثره عام ١٤٠٥هـ رحمه الله.

- الخال الشيخ عبدالرحمٰن الجهيمي متعه الله بالطاعة، عمل موظفاً في مكتب وزير الصحة، أرضعته الجدة مع ابنها عبدالملك الأول.

- الخالة رقية (أم إبراهيم الجهيمي) متعها الله بالطاعة، وهي أختها الصغرى حيث أرضعتها الجدة مع العمة الجوهرة رحمها الله تعالى.

ولها أيضاً إخوة وأخوات ماتوا صغاراً.

بعد وفاة الجد عبدالله رحمه الله كرَّست حياتها لتربية أبنائها الصغار وتعليمهم، فعكفت على ذلك، ولها قصص في المحافظة عليهم وتنشئتهم التنشئة الصالحة، وكان جُل اهتمامها بالعم سماحة الشيخ عبدالعزيز لكونه كفيف البصر، حدث العم سماحة الشيخ عبدالعزيز حفظه الله مرةً فقال: ذهبت للشيخ محمد بن سنان في يوم بردٍ شديد فأدركتني الوالدة رحمها الله مسرعة ومعها ثوب صوف فألبستني في الطريق.

---

(١) سبق ذكرهم في ترجمة الجد عبدالله رحمه الله.

ولما أمَّ سماحة العم الشيخ عبدالعزيز بمسجد الأمير ناصر بن عبدالعزيز بحارة الحماد كانت الجدة تذهب به للمسجد كل يوم، وخاصة صلاة الفجر وتنتظر حتى تنقضي الصلاة ثم ترجع به للبيت.

كانت رحمها الله كثيرة المطالعة لكتاب الله تلاوة وحفظاً، واصلة لرحمها وأقاربها، تجاور بيت الله الحرام كل سنة في رمضان كاملاً، وكنت أرافقها لسنوات طويلة، فكانت تسافر إلى مكة المكرمة قبل شهر رمضان بيوم أو يومين، وتعود بعد العيد.

كانت رحمها الله تعالى حريصة على بذل يدها بالخير، عطوفةً على الكبير والصغير، حديثها لا يُمَلُّ، تستقبل الكل بالدعاء وتودعه بالدعاء كائناً من كان، وأحسبها كانت مستجابة الدعاء، حدثتني مرة أن سماحة العم الشيخ عبدالعزيز لمَّا كان صغيراً لم يتجاوز السابعة من عمره، خرج مع أصحابه إلى الجامع الكبير وصعد المنبر وخطب، فأنزله أحد الأعمام من على المنبر وهو غاضب، وجاء به للجدة وقال لها إنه كان يلعب على المنبر، فقالت له: (أسأل الله العظيم أن يحييك حتى تصلي خلفه في الجامع الكبير) فكان كما قالت.

ولها أيضاً مواقف أخرى نعرفها لجأت فيها للدعاء فاستجاب الله دعاءها.

كان لها معرفة بالطب العربي وخاصة (الكي)، إذ كانت تُقصَد لذلك، رحمها الله رحمة واسعة، وجزاها الله عنا خير الجزاء.

لما أجرى سماحة العم الشيخ عبدالعزيز عملية في عينه اليمنى التي كان يبصر بها عام ١٣٨١هـ في المستشفى المركزي (الشميسي سابقاً) كانت الجدة مرافقة له، إلا أن سماحة العم كان في غرفة مشتركة مع خمسة من المرضى الآخرين، وكانت الجدة تخجل من كثرة الدخول عليه، وكانت تنتظر خارج الغرفة وتنام في الممر، حتى نُقِلَ سماحته لغرفة مستقلة، فكانت تنام معه في الغرفة، فلما أجرى سماحة العم العملية ولم يكتب له الشفاء، حزنت الجدة حزناً شديداً، وقالت للطبيب الذي أجرى العملية وهو طبيب زائر (سويسري الجنسية) إن كان يستطيع أن يأخذ إحدى عينيها ويزرعها لابنها سماحة العم.

قال لها سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: (يا أختي: هذا أمر قضاه الله وقدره، وارضي عن الله، نحن كلنا أكفاء، قالت: يا شيخ محمد لو أعلم أن عيني تؤخذ لأمرت بأخذها)، غفر الله لها وأسكنها فسيح جناته.

لما سافرت العمة الجوهرة (أم سعود) للعلاج في الولايات المتحدة الأمريكية، طلبت الجدة رحمها الله السفر لزيارتها، فرافقتها في تلك السفرة عام ١٤١٧هـ، ومكثت عند العمة الجوهرة عدة أشهر، وما إن سمعت بمقدم الوالد عبدالملك للعلاج بواشنطن حتى ألحت على العمة بزيارته، فسافرت من لوس أنجلس حيث تقيم العمة الجوهرة إلى واشنطن حيث يقيم العم عبدالمحسن، ومكثت مع الوالد عبدالملك هناك قرابة الأسبوعين ثم رجعت إلى الرياض.

أصابها حزن شديد لوفاة ابنتها الكبرى العمة الجوهرة (أم سعود) رحمها الله، وما إن مضت ثمانون يوماً حتى أصيبت بوفاة الوالد عبدالملك، فتجدد الحزن وتضاعف الألم، إلا أننا كنا نراها صابرة محتسبة، ترجو ما عند الله تعالى.

لازمت الحج مع سماحة العم الشيخ عبدالعزيز كل سنة، وفي شهر ذي القعدة عام ١٤٢٢هـ أصيبت بكسرٍ في الورك، مما دعاها لملازمة الفراش بالمستشفى لعدة أشهر وإجراء عمليات جراحية، وكانت خلالها حريصة على سرعة التعافي حتى تدرك الحج من العام الذي بعده ١٤٢٣هـ، إلا أن سماحة العم لم يرد أن يشق عليها وهي لا زالت متأثرة بما أصابها، فحاول إقناعها أن لا تحج تلك السنة، فجلست وهي كارهة، فلما رجع سماحة العم من الحج ذهب إليها مباشرةً وقبَّل يديها وقدميها في منظرٍ مهيب ومؤثر، وهو يطلب منها السماح والعفو.

ثم لازمت الحج بعد ذلك مع سماحة العم، وفي شهر رجب عام ١٤٢٩هـ أصيبت بانزلاق في عظمة الورك فلازمت الفراش في المستشفى لعدة أشهر، وقلت حركتها بعد خروجها من المستشفى، وبسبب ذلك لم تتمكن من السفر للحج بعدها، ولا للذهاب لمكة المكرمة في شهر رمضان المبارك، وقد عددنا لها رحمها الله أكثر من أربعين حجة، جعلها الله في موازين أعمالها.

في سنواتها الأخيرة أقعدها المرض ولازمت الفراش، فكانت لا تعرف من الدنيا إلا الحج، والتصعيد لعرفة، ونفرة

الحجيج، وتسأل دائماً عن مكة والسفر إليها، والصلاة في الحرم، لا تتحدث إلا عن ذلك.

قلت والله أعلم: لما كان قلبها معلقاً بالحرم والمشاعر المقدسة، أصبحت لا تعرف من الدنيا بعد هذا العمر المديد إلا ذلك، وواللهِ إنها لعبرة وعظة لمن كان له قلب، فمن شبَّ على شيء شاب عليه، وإنما الأعمال بالخواتيم.

قبل وفاتها بنحو ثلاث سنوات لزمت الصمت، فكانت على الكرسي المتحرك صامته، ثم ضعف جسمها وأدخلت مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض، ومكثت نحو سنة وتسعة أشهر في غيبوبة كاملة، إلا أنها كانت تتمتم بالقرآن الكريم في كل وقت وهي على تلك الحالة، وكان سماحة العم يزورها في كل يوم، ويقبل يديها، وإذا رجع من سفر ذهب إلى زيارتها مباشرة من المطار.

توفيت رحمها الله عصر يوم الثلاثاء بالرياض الموافق ١٤٣٦/٦/٤هـ عن عمر ناهز المئة، وصلي عليها عصر يوم الأربعاء بجامع الملك خالد بأم الحمام، وقد أم المصلين ابنها سماحة العم الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ، ودفنت في مقبرة أم الحمام، رحمها الله رحمة واسعة، وأسكنها الله بحبوحة الجنة، وجزاها الله عنَّا وعن والدينا خير الجزاء، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



ترجمة الجد
الشيخ محمد بن عبداللطيف رَحِمَهُ اللَّهُ (١)

هو الشيخ، الإمام، العالم العلَّامة الجليل، قاضي الرياض، أبو عبدالرحمٰن، محمد ابن الشيخ العلامة عبداللطيف ابن الشيخ الإمام العلامة المجدد الثاني عبدالرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله رحمةً واسعة.

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ بمدينة الرياض سنة ١٢٨٢هـ ونشأ وترعرع بها وحفظ القرآن الكريم في حياة والده الشيخ عبداللطيف رَحِمَهُ اللَّهُ وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره، و أخذ عنه مبادئ العلوم، وشرع في طلب العلم منذ نعومة أظفاره، فنشأ رَحِمَهُ اللَّهُ في بيت علم وفضل، مع إخوته الأشقاء إبراهيم وعبدالرحمٰن، إذ جمعهم بيت واحد، فوالدهم العالم العلَّامة الأزهري الألمعي المعروف صاحب التصانيف البديعة النافعة الشيخ عبداللطيف ابن الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن ابن شيخ الإسلام الإمام محمد بن

(١) قرأت هذا الترجمة على سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ مفتي عام المملكة ورئيس هيئة كبار العلماء فأجازها.

عبدالوهاب ـ عليهم رحمة الله تعالى ـ ووالدتهم من آل دهموش من أهالي الحريق.

قرأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على مجموعةٍ كبيرةٍ من علماء نجد في ذلك الوقت، من أبرزهم والده الشيخ عبداللطيف، قرأ عليه مبادئ العلوم، ومختصرات شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، كما قرأ على أخيه لأبيه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، وعلى الشيخ محمد بن محمود، والشيخ حمد بن عتيق، والشيخ سليمان بن سحمان، وقرأ على الشيخ حمد بن فارس وكيل بيت المال في الرياض الفرائض والعربية، وغيرهم من العلماء رحمهم الله جميعاً.

وجدَّ واجتهد حتى صارت له اليد الطولى في التوحيد والتفسير والحديث والفقه وعلوم العربية، فعد من كبار علماء زمانه، حتى آلت إليه الفتوى في نجد، بل أصبح المرجع لكثير من الوافدين للجزيرة العربية من غير أهلها، وذاع صيته في غير نجد.

تخرج على يد الشيخ محمد بن عبداللطيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلة من العلماء الأجلاء، من أبرزهم أبناء أخيه إبراهيم، وسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبداللطيف بن إبراهيم، والشيخ عبدالملك بن إبراهيم، والشيخ عبدالله بن إبراهيم.

وقرأ عليه أبناؤه الشيخ عبدالرحمن، والشيخ عبدالله، والشيخ إبراهيم وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أول مشايخ سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقرأ عليه الشيخ عبدالرحمٰن بن إسحاق بن عبدالرحمٰن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، وابنه معالي الشيخ محمد بن عبدالرحمٰن بن إسحاق، والشيخ صالح بن سحمان، والشيخ عبدالله الدوسري، والشيخ محمد بن حمد بن فارس، والشيخ حسن بن مانع، والشيخ حمد الجاسر المؤرخ المعروف، ومعالي الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العقيل رئيس الهيئة الدائمة لمجلس القضاء الأعلى سابقاً، ومعالي الشيخ عبدالله بن عبدالرحمٰن الغديان التميمي، وغيرهم كثير رحمهم الله.

تزوج رَحِمَهُ اللَّهُ من الجدة لولوة بنت حمد الهلال من أهالي نعام أحد المراكز التابعة لمحافظة الحريق، وأنجبت له ثلاثة ذكور وابنتين هم(١):

١ ـ العمة الجوهرة؛ وهي الكبرى.

٢ ـ العمة لطيفة.

٣ ـ العم الشيخ عبدالرحمٰن؛ وهو أكبر أبناء الجد محمد من الذكور.

٤ ـ الجد عبدالله.

٥ ـ العم الشيخ إبراهيم.

وتزوج من العيسى من أهالي شقراء، لما كان قاضياً بشقراء، وأنجبت له العمة حصة رحمها الله(٢).

---

(١) سبق الإشارة إليهم عند ترجمة الجد عبدالله بن محمد رحم الله الجميع.

(٢) سبق الإشارة إليها عند ترجمة الجد عبدالله بن محمد رحمها الله.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ جواداً كريماً، يستدين ليقري الضيف، ولا يرد من سأله، يضرب به المثل في الكرم و الجود، لا يرتاح خاطره حتى يكون معه ضيف في البيت، وقلما خلا بيته من طعام معد لزواره، معروفٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمكارم الأخلاق و طيبة النفس.

تحدثني الجدة سارة الجهيمي (أم عبدالملك) رحمها الله أنها تستيقظ قبل الفجر لتعجن العجين وتعد الطعام للشيخ وطلابه بعد الفجر.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مربوع القامة، يميل للقصر، ممتلئ الجسم، بعيد ما بين المنكبين، أبيض البشرة، كث اللحية جهوري الصوت حتى قيل إن صوته يسمع وهو يخطب من مكان بعيد، وكان يصدع بالحق ولا يخاف في الله لومة لائم، له أسلوبٌ حسنٌ في الوعظ والإرشاد والتوجيه مما أضفى على رسائله وفتاواه القوة والقبول لدى العامة والخاصة.

بعد استقرار الأمر للملك عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ ودخوله الرياض عينه قاضياً في القويعية، ثم في الوشم ومقر عمله في شقراء، وهناك تزوج من العيسى من أهالي شقراء وهم أخوال العمة حصة بنت محمد بن عبداللطيف رحمها الله، كما بعثه على رأس وفد من كبار العلماء في ذاك الوقت، لبلادِ عسير والحجاز، مرشداً، وداعيةً إلى الله، فهدى الله به خلقاً كثيراً ونفع الله بوعظه وتوجيهه.

بلغه وفاة أخيه الأكبر الشيخ عبدالله بن عبداللطيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو في مدينة أبها ـ من بلدان عسير ـ فما إن رجع إلى الرياض، حتى انتهت إليه رئاسة الإفتاء، والتدريس في نجد، وعين قاضياً في الرياض، فباشر العمل بقوة وكفاءة وأمانة وعفة.

وكان يجلس للقضاء في السوق، كما هي عادة القضاة في ذاك الزمن، وربما جاءه الخصمان في بيته فقضى بينهما، وكان ﷺ يرد الخصم إذا جاء لوحده حتى يأتي معه خصمه، وجلس للإفتاء والتدريس في الجامع الكبير بالرياض، فقُرِئ عليه في أمهات الكتب، وفي المطولات والمختصرات، وجلس في بيته للتدريس أيضاً في مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ﷺ، فاستفاد منه خلق عظيم من الطلاب وأخذوا عنه جميع العلوم الشرعية.

وكان شغوفاً بجمع الكتب مهما كلفه ذلك من المشاق، حتى جمع من نفائس المخطوطات مكتبة لا نظير لها في نجد كلها في ذلك الزمن.

حدثتني الجدة رحمها الله أن أحد العلماء من أهالي الخرج توفي وترك كتباً فأرسل الشيخ محمد بن عبداللطيف من يذهب ويشتري تلك الكتب من الورثة، فجيء بها بعد صلاة الفجر في سحَّارتين[1] وكان الجد ﷺ قد ضعف بصره، فجلس في بَطْنِ الحَوِي[2] يطالع هذه الكتب ويَتَصَفَّحُهَا حتى ارتفعت الشمس.

وقد حدث الشيخ عبدالله بن عبدالرحمٰن البسام ﷺ عن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ﷺ أنه قال: كنت حاجاً مع العم الشيخ محمد بن عبداللطيف، فجعل طريقنا على البرَّة،

---

(١) السحَّارة: صندوق خشبي غير محكم الإقفال، على شكل خاصّ توضع فيه الأشياء عند تخزينها.

(٢) بطن الحوي: الساحة المكشوفة في وسط البيت الطيني قديماً.

وهناك طريق أقصر منه، فلما وصلنا (قرية البرَّة) طلب حضور رجل من أهلها، فلما جاءه، اشترى منه أجزاء من كتاب التمهيد لابن عبدالبر، فقلت له: يا عم؟ مهدت الطريق لأجل التمهيد؟ فاستحسن مني هذه النكتة البديعة(١).

والسبب ـ و الله أعلم ـ في تضخم مكتبة الشيخ محمد بن عبداللطيف، هو أنها في أساسها كانت مكتبة جده الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ﵀، ثم انتقلت إلى ابنه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن ﵀، ثم إلى ابنه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف ﵀، ومنه إلى أخيه الشيخ محمد بن عبداللطيف ﵀، وهو الذي كان السبب الأكبر في كبرها.

وبعد وفاته آلت هذه المكتبة إلى ابنه الشيخ عبدالرحمٰن، ثم أصبحت هي نواة المكتبة السعودية بالرياض عام ١٣٩٣هـ.

ولما عزم الملك عبدالعزيز﵀ على طبع رسائل أئمة الدعوة للمرة الأولى، جعل أمر ذلك للشيخ محمد بن عبداللطيف ﵀، فقام بالمهمة أحسن قيام، وجرى بينه وبين صاحب ومدير مطبعة المنار الشيخ محمد رشيد رضا ﵀ مكاتبات في شأنها، وأخذ عليه تعهدات أن لا يتصرف في شيء من ألفاظها وكلماتها، وقد برزت الرسائل مطبوعة بمطابع المنار على أحسن ما يرام.

وقد أمره الملك عبدالعزيز﵀ أن يكتب رسالة في العقيدة

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون للشيخ عبدالله البسام ١٣٥/٦.

ويبعثها إلى رؤساء القبائل من أهل اليمن، وعسير، وتهامة، وشهران، وبني شهر، وقحطان، وغامد، وزهران، وكافة أهل الحجاز، وذلك سنة ١٣٣٩هـ، فكان لها أحسن الوقع، ولذلك جعلها الشيخ سليمان بن سحمان من جملة رسائل الهدية السنية.

ومن الأعمال التي كان يقوم بها الشيخ محمد بن عبداللطيف رحمه الله الإمامة في الجامع الكبير في الرياض للفروض والجمع، بالإضافة إلى خطب الأعياد في مصلى العيد القديم، وكان ذلك بعد وفاة أخيه الأكبر الشيخ عبدالله بن عبداللطيف رحمه الله وبعد رجوعه من جنوب الجزيرة العربية، إذ تولى بعد وفاة أخيه الشيخ عبدالله أمور الإفتاء في نجد والتدريس في الجامع الكبير، وتولى ابن أخيه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله التدريس في مسجد الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله بحي دخنه جنوبي الرياض قديماً، والمسمى حالياً مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله.

وكان الملك عبدالعزيز رحمه الله يبعثه إلى قطر في رمضان إماماً وخطيباً ومعلماً وقاضياً عند آل ثاني حكام قطر.

استمر الشيخ محمد بن عبداللطيف رحمه الله إماماً وخطيباً للجمع والأعياد في الجامع الكبير بالرياض إلى أن توفي رحمه الله فخلفه ابن أخيه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمهم الله جميعاً.

وقد حدثني العم الشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحمٰن بن عبدالعزيز بن عبدالرحمٰن بن حسين ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، أنهم خرجوا حاجين مع الملك عبدالعزيز رحمه الله

ومعهم الشيخ محمد بن عبداللطيف، فكان وصولهم إلى البيت الحرام صبيحة الجمعة، فأمر الملك عبدالعزيز الشيخ محمد بن عبداللطيف أن يخطب الجمعة، و يؤم المصلين في المسجد الحرام، فأمهم وخطب خطبةً عظيمة تعجب منها أهل الحجاز.

أصابه مرض بعينيه عام ١٣٥٨هـ فسافر إلى مصر للعلاج مرتين، فلم يعد إلا وقد بدأ نظره يضعف تدريجياً، ولكن ضعف البصر لم يعقه عن مواصلة نشر العلم الشرعي والتدريس، وكان ﵀ يمكث الساعات الطوال تحت أشعت الشمس لقراءة بعض الكتب التي عنده، فمكث ﵀ قرابة العشر سنوات ضعيف البصر حتى كفَّ في آخر حياته.

ألم به مرض ـ أظنه ـ تضخم البروستات، إذ احتبس عليه البول مدة ثلاثة أيام، وكان في نزهة برية خارج مدينة الرياض، فتوفي في الطريق راجعاً إلى الرياض يوم الأحد الرابع من شهر جمادى الآخرة لعام ١٣٦٧هـ، وصلي عليه في الجامع الكبير، وقد أم المصلين ابن أخيه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمهم الله جميعاً ـ.

وقد فزع الناس لفقد الشيخ محمد بن عبداللطيف ﵀ وحزنوا على رحيله أشد الحزن، وقد رثاه لموته الشعراء والأدباء منهم ما أنشده الأديب ابن أخيه الشيخ عبدالله ابن الشيخ عمر ابن الشيخ عبداللطيف ﵀، إذ يقول:

على الشيخ فليبكي محب مولع بكاه حـزين قلبـه يتصـدع
وينشر دمعاً من عيون غـريقة فإن قلـصت ماء فبالدم تدمع

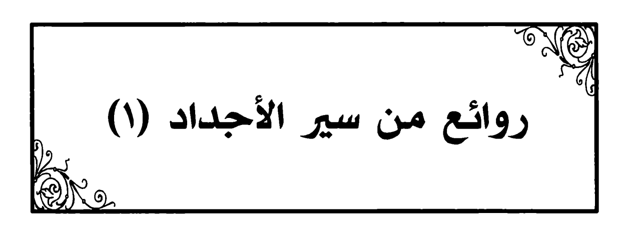
وميتة خير الخلق للناس كلهم … عزاء به يسلو المصاب المفجع
فقد رحل الحبر الفقيه الذي به … قواعد دين الله تتلى وترفع
له همة تسمو إلى هامة العلى … تقلدها مذ كان في الحِجْر يرضع
إمام همام ألمعي مهذب … فقيه نبيه حافظ متضلع
مجالسه بالعلم أضحت منيرة … بها أمهات الدين تقرا وتسمع
مرابعه تبكيه من بعد ما غدت … معطلة أرجاؤها تترجع
ويبكيه أهل الدين إذ كان دأبه … مجداً على تبيينه فهو يصدع
وحق لها تبكيه إذ كان قائماً … بغرس علوم الدين أيضاً ويجمع
أصولاً وتوحيداً وفهماً وكلما … رأى حسناً منها لها يتتبع
فتلك جمادات عوون بفقده … يرجعن أصواتاً لها تتنوع
فيا ليتني أرويت قلبي بمجلسٍ … فأحفظ منه الجم إذ لا أضيع
فهيهات هيهات انقضت وتصرمت … لياليه بالإحسان، فالله يجمع
فآها على العلم الشريف فإنه … يتيماً غدا من بعد ما كان يرفع
وما مثله في الجود إلَّا كحاتم … جميع خصال الخير والفضل مودع
وصول لأرحام وإن قطعت له … عفو حليم ذو تقى متخشع
فيا حي يا قيوم يا سامع الدعا … ويا من له كل الخلائق تفزع
أنله الرضا وأحسن جميعاً لنا العزا … وأسكنه جنات بها يتمتع
وأبق لنا شيخ الهدى علم الورى … يقرر هذا الأصل لا يتضعضع
وأعني به الحبر التقي محمداً … سلالة من للدين شادوا ويرفعوا
ويا أيها الأبناء للشيخ إنني … أوصيكم بالعلم فيه تولعوا
فمن فاته العلم الشريف فإنما … بضاعته المزجاة دوماً يخدع
ويا رب ثبتنا جميعاً وكن لنا … معيناً على فهم الذي هو أنفع

وصلِّ إلهي كل وقت وساعة على المصطفى من للخلائق يشفع
وآل كرام ثم صحب ومن على طريقتهم يقفو وللرسل يتبع

فرحم الله الشيخ محمد بن عبداللطيف وأسكنه الله فسيح جناته، وجمعنا به في دار كرامته ومستقر رحمته، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم(١).



(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع الشيخ عبدالرحمٰن بن قاسم ٤٧١/١٦، علماء نجد خلال ثمانية قرون، للشيخ عبدالله البسام ١٣٤/٦، مشاهير علماء نجد وغيرهم، للشيخ عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ ص:١١٧، البيان الواضح لأسرة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، للشيخ عبدالله بن إبراهيم آل الشيخ ص:١١، الأعلام، للزركلي ٢١٨/٦.



روائع من سير الأجداد (١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ***وبعد:***

كان شيخ لإسلام الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ وهو في الدرعية بعد أن تحالف وتعاهد مع الإمام محمد بن سعود المرجع والمفتي والمستشار لجميع القضايا السياسية والشرعية والاقتصادية والاجتماعية، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يتولى جمع الزكاة وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين وصرفها في مصارفها الشرعية.

حدَّث سماحة الوالد الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد المفتي العام عن معالي الشيخ محمد بن سعد الشويعر متع الله به على الطاعة أنه قال في أحد كتبه الماتعة أن أعرابياً جاء إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ وطلب منه مبلغاً من الزكاة وأوضح حالته وفقره للشيخ وأنه يعول أسرة ولا عمل له، وصادف أن أموال الزكاة سبق أن وزعت ولم يبق عند الشيخ محمد شيء منها، فقال الشيخ للأعرابي: لا أجد لك إلا قول الله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المُزمّل: ٩]!!

فخرج الرجل من عند الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وبعد عام كامل جاء هذا

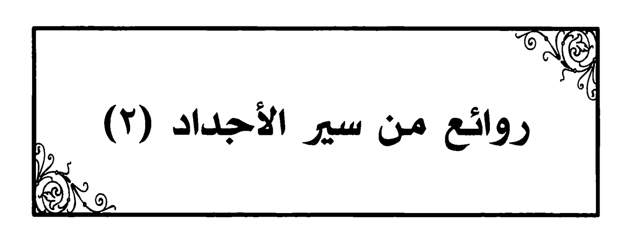
الأعرابي إلى الشيخ محمد في الدرعية ومعه أموال وطلب من الشيخ أن يصرفها في مصارف الزكاة!.

فقال الشيخ محمد من أين لك هذه الأموال وأنت في العام الماضي أتيت تطلب من مال الزكاة وذكرت من فقرك وحاجتك ما ذكرت؟

فقال الأعرابي هذه يا شيخ من قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المُزمّل: ٩].

فانظر يا رعاك الله كيف أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يربي الناس على التوكل على الله، حتى يروا نتاج ذلك التوكل أمام أعينهم،فالتوكل على الله وتفويض الأمر إليه سبحانه، وتعلق القلوب به جل وعلا من أعظم الأسباب التي يتحقق بها المطلوب ويندفع بها المكروه، وتقضى الحاجات، وكلما تمكنت معاني التوكل من القلوب تحقق المقصود أتم تحقيق، وهذا هو حال جميع الأنبياء والمرسلين، ففي قصة نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما قذف في النار روي أنه أتاه جبريل، يقول: ألك حاجة؟ قال: "أما لك فلا وأما إلى الله فحسبي الله ونعم الوكيل" فكانت النار برداً وسلاماً عليه، ومن المعلوم أن جبريل كان بمقدوره أن يطفئ النار بإذن الله (بطرف جناحه)، ولكن ما تعلق قلب إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بمخلوق في جلب النفع ودفع الضر، وهذا ما جعل الشيخ محمدبن عبدالوهاب يؤكد على هذا المعنى ويدعو إليه.

فاجعل التوكل على الله تعالى شعارك وتحصن به وحصن به أولادك يرزقك الله من حيث لا تحتسب.



روائع من سير الأجداد (٢)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ***وبعد:***

في حوالي عام ١٤٢٠هـ كنت في زيارة للعم الشيخ (أبي سعود) عبدالعزيز بن عبدالرحمٰن بن عبدالعزيز بن عبدالرحمٰن بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في منزله في الطائف، وكنت أستمتع كثيراً بحديثه الشيِّق والذي من خِلاله أستفيد الدروس والعبر من شخص عاصر وعارك الحياة.

كان يجلس بعد العصر في بيته بالطائف قبل أن ينتقل إلى جدة، فاتحاً قلبه وبابه للزوار، زرته ذات يوم وكان عنده العم الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عبداللطيف رحمه الله رحمة الأبرار، فحدثني العم عبدالعزيز (أبو سعود) عن الجد الشيخ الإمام محمد بن عبداللطيف إذ هو معاصر له، فقال خرجنا حاجِّين مع الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعدما أفاء الله عليه بفتح الحجاز، في حدود عام ١٣٤٣هـ، وكان معنا الشيخ محمد بن عبداللطيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان السفر للحج في تلك السنين على (الركايب) أي على الجمال، وكنا نأنس بمصاحبة الشيخ

محمد رَحِمَهُ اللهُ، وكان وصولنا إلى مكة المكرمة في ضحى يوم الجمعة، وكان أول ما فعلناه مع الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللهُ أن دخلنا الحرم الشريف وبدأنا بالطواف، وبعد الفراغ منه، حانت صلاة الجمعة، فجلس الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللهُ في صحن الحرم وطلب الشيخ محمد بن عبداللطيف رَحِمَهُ اللهُ، ثم أمره أن يخطب الجمعة، فقال الشيخ محمد: إن أهل الحجاز قد اعتادوا على طريقة وعلى إمام أخشى إن تغيرت هذه الطريقة أن يكون في خواطرهم شيء، وكان رَحِمَهُ اللهُ يريد الاعتذار من الملك عبدالعزيز فقط، إلا أن الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللهُ ألزم الشيخ بذلك.

يقول العم الشيخ عبدالعزيز (أبو سعود) رَحِمَهُ اللهُ: فقام الشيخ محمد بن عبداللطيف وكان وقتها مبصراً فصعد المنبر وخطب خطبة عظيمة، تعجب منها أهل الحجاز، وبعد الصلاة قدم أهل مكة وأشرافها وسلموا على الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللهُ وطلبوا منه أن يبقي الشيخ محمد عندهم في الحجاز، وأن يستمر في إمامة الحرم والخطابة فيه.

فالتفت الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللهُ وبحث عن الشيخ محمد وسأل عنه فلم يجده، وقال: ننظر في الأمر إن شاء الله.

وطوال أيام الحج والملك يسأل عن الشيخ محمد بن عبداللطيف ولم يجد جواباً.

يقول العم الشيخ عبدالعزيز (أبو سعود) رَحِمَهُ اللهُ: لم نرَ الشيخ محمد بن عبداللطيف أيام الحج كلها، حتى رجعنا إلى الرياض، فقابلت الشيخ وسألته عن سبب اختبائه كل تلك الفترة، فقال رَحِمَهُ اللهُ:

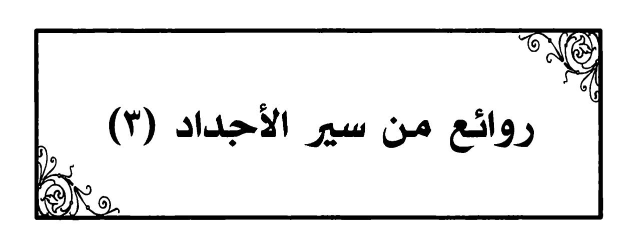
سمعت كلام أهل الحجاز للملك عبدالعزيز فخشيت أن يلزمني الملك بالبقاء في الحجاز فاختبأت عن الأنظار حتى انتهى الموسم ورجعت للرياض.

وبعد رجوع الشيخ إلى الرياض قابله الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ فقال له: يا شيخ محمد قد علمت اعتذارك من غيبتك عن الأنظار طوال فترة الحج، فالأمر لك يا شيخ ولن ألزمك بأمرٍ تكرهه، فقال الشيخ: أطال الله عمرك يا إمام، للحرم المكي هيبة، ولي في البقاء في الرياض رغبة، ولم أكن لأرد كلامك أمام أهل الحجاز، فآثرت الانصراف على البقاء.

فرحم الله الشيخ محمد بن عبداللطيف ورحم الله العم عبدالعزيز بن عبدالرحمن (أبو سعود)، ورحم الله الملك عبدالعزيز فقد كان يوقر العلماء ويعرف مكانتهم ويحترم رأيهم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.





روائع من سير الأجداد (٣)

ولدت العمة فاطمة بنت الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الدرعية، وتلقت تعليمها الأول على يد والدها شيخ الإسلام الذي غرس فيها حب العلم ونشر الخير بين الناس، فتكون لها حصيلة علمية خولتها القيام بالتدريس للرجال والنساء، وتذكر بعض المصادر أنها كانت تجعل بينها وبين الرجال سترة أثناء التدريس.

كانت العمة فاطمة ـ رحمها الله ـ موصوفة بالجمال، ومع ذلك شغلها التدريس ونشر العلم عن الزواج، وكانت عفيفةً شجاعة، ففي ذات يوم طرقت عليها امرأة باب البيت، فلما فتحت الباب توجست من هذه المرأةِ شراً وقامت العمة فاطمة مسرعة إلى لحاف عندها و(تلفعت) به، ثم جاءت إلى المرأة وسحبت الغطاء عن وجهها فإذا بها تفاجأ بأنها ليست امرأة وإنما رجل؟

فقالت له: (أخزاك الله)!

فصاح الرجل وقال: (إنما أردت خيراً، سمعت عن جمالكِ وأرت أن أخطبكِ فلم أجد سبيلاً لرؤيتكِ إلا ما فعلت)!

فقامت العمة رحمها الله بضربه ضرباً شديداً وأخرجته من

البيت بعد أن اجتمع الرجال من أهل البيت والجيران لمَّا سمعوا صراخ الرجل.

خرجت رحمها الله للحج، وهي في الطريق وكانت داخل الهودج مرت بقبر على مقربة من قرية يقال لها (الزيمة) فطلب سادن القبر من قائد راحلتها (السائق) أن يقدم هدية لصاحب القبر، بدعوى أنه ولي، فما كان من قائد رحل العمة فاطمة إلا أن نهره وقال: (لا أقدم له إلا التراب)!

فما كان من العمة ـ رحمها الله ـ إلا أن تكلمت وهي في الهودج وقالت لقائد رحلها: (ولا تقدم حتى التراب، ثم استدلت بحديث طارق بن شهاب، عن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ قال: (دخل رجل الجنة في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحدٌ حتى يقرب له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قرب، قال: ليس عندي شيءٌ، فقالوا له: قرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً، فخلوا سبيله. قال: فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب ولو ذباباً، قال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله ﷻ، قال: فضربوا عنقه، قال: فدخل الجنة).

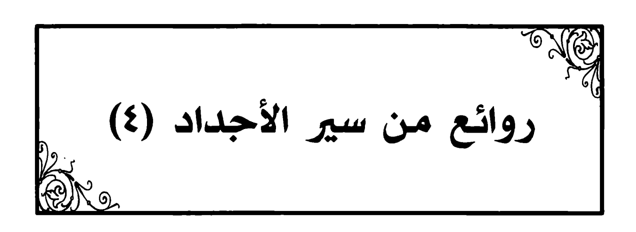
شهدت العمة فاطمة ـ رحمها الله ـ سقوط الدرعية وتدميرها عام ١٢٣٣هـ، على يد الطاغية إبراهيم باشا عليه من الله ما يستحق، فخرجت إلى رأس الخيمة مع ابن أخيها الشيخ علي بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب وكان صغيراً، وفي عام ١٢٣٥هـ، وفي منتصف شهر صفر قدم البريطانيون بحملتهم الثالثة على

القواسم في رأس الخيمة، فخرجت العمة فاطمة ومعها ابن أخيها علي بن حسين من رأس الخيمة إلى عمان، ولذلك سميت (صاحبة الهجرتين)، حيث هاجرت بعد سقوط الدرعية إلى رأس الخيمة، ثم هاجرت منها إلى عمان بعد هجوم البريطانيين عليها.

ومكثت ـ رحمها الله ـ في عمان تدرس وتعلم وتنشر العقيدة السلفية بين العمانيين حتى استقر الوضع في نجد بتأسيس الدولة السعودية الثانية على يد الإمام تركي بن عبدالله ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ فعادت إلى الرياض مع ابن أخيها عام ١٢٤٠هـ، وتوفيت في الرياض ودفنت في مقبرة العود.

رحم الله العمة فاطمة بنت الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأجزل الله لها المثوبة، وجمعنا بها في دار كرامته ومستقر رحمته، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.





روائع من سير الأجداد (٤)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ***وبعد:***

فهذه رسالة من الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الإمام فيصل بن تركي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد توليه الحكم في الرياض، مذكراً له ما كان عليه أسلافه من آل سعود رحمهم الله، واصفاً له حال الدعوة وأهلها في الدرعية، وهي رسالة عظيمة، جاء فيها:

(بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللهم اجعلنا هادين مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، سلماً لأوليائك، حرباً لأعدائك، نحب بحبك من أحبك، ونعادي بعداوتك من خالف أمرك، اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة، اللهم هذا الجهد وعليك التكلان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً.

من محبكم الداعي لكم بظهر الغيب، عبدالرحمٰن بن حسن، إلى الابن الإمام فيصل بن تركي، ألزمه الله كلمة التقوى، ووفقه للقيام بما هو أقوم وأقوى.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ***وبعد:***

موجب الخط أبين لك ما أنت خابر، من أمر دعوة الإسلام، التي منَّ الله بها في آخر هذا الزمان، بموجب النصيحة للإمام، المشوبة بالمحبة والشفقة والخوف، وكنت والله يعلم صدقي بما قلته أني أحبك، وأقدمك في المحبة على من مضى، من حمولتك وحمولتي.

واليوم الذي أجتمع بك فيه عندي يوم سرور، ولا عندي لك مكافاة إلا بالدعاء والنصح باطنا، وأكثر من يجتمع بالإمام ما يجي أمر النصيحة له على بال، وبعضهم ما يحسن النصيحة، ولا يعرف وجهها، وبعضهم غرضه دنياه، وهمته موقوفة عليها، وقد قال الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [سورة العصر]. ولا يسلم من الخسران إلا أهل العلم ومعرفته، وقبول الحق ومحبته والانقياد في طاعته، والعمل الصالح، والتواصي بالحق والصبر على ذلك، ومن نقص في ذلك ناله من الخسارة بحسب ذلك.

ولا يخفاك أن الله منَّ عليكم بدين الإسلام في آخر هذا الزمان، برجل واحد خالف فيه الأدنى والأقصى، والقريب والبعيد، لأنه قام في حال غربته، لما اشتدت غربة الإسلام في جميع الأماكن، والناس كلهم إلا من شاء الله، لا يعرفون معنى لا إله إلا الله.

واشتد نكير الناس عليه، العامة والمطاوعة، وحذروا الملوك

منه، وشنعوا عليه في التوحيد الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه، وخلق الجن والإنس له، وصار أقرب قريب له: ابن معمر أمير بلاده، لما عرف عداوة الناس له، أرخص له عن البلد.

وصار رحمة ونعمة عظيمة لكم يا حمولة، وتلقاها جدك ﷺ وأهلك؛ وأعانهم الله على عداوة أهل الأرض في هذا الدين، ولا عندهم أموال يبذلونها، لكن بذلوا نحورهم وأنفسهم، وأرخصوها لله في طلب رضاه، والفوز بالجنة، والنجاة من النار.

ولا مقصدهم إلا أن الناس يتركونهم يوحدون الله، ولا يعارضونهم عند التوحيد، ولا حصل من الشيوخ بنجد وأتباعهم، وضدهم في غاية القوة، وهم في غاية الضعف والقلة.

فأيدهم الله بدينه، وكل عدو يقصدهم يكسره الله، وما زالوا كذلك حتى ملكهم الله جزيرة العرب بهذا الدين، وهم في تلك السنين معافيهم الله في أبدانهم، حتى إن الأمراض العامة لا تعرف فيهم.

ولهم سيرة، أذكرها لك من غير مجازفة دائما في كل وقت، يبعثون الدعاة إلى الله، إلى كل بلدة، يجددون لهم دينهم، ويسألونهم عن ثلاثة الأصول، والقواعد، وغير ذلك من كتب الأصول...).

ثم قال ﷺ: (وأما حالهم في بلدهم الدرعية، فبنوا مجمعاً ـ حول مسجد البجيري ـ محله معروف إلى اليوم، يسع له قدر مائتي رجل، وجعلوا فيه رفا للنساء، فإذا صلوا الصبح أقبلوا لهذا المجمع، وفيه "معاميل" وقهوة وما نابها، مقيوم به من بيت المال.

تارة يجلس فيه حسين بن الشيخ، وتارة عبدالله، وتارة علي، ويقرؤون في نسخ التوحيد، فإذ فرغ هذا الدرس، راحوا هم وغيرهم، وجلسوا عند بيت الشيخ، حتى يجيء عمك وجدك، وسعود وعياله، وآل عبدالله، ويدخلون عند الشيخ رحمهم الله. فإذا تقهووا، وذكر عمك، رَحِمَهُ اللهُ للشيخ ما عنده من خبر، أو أمر يحتاج له الشيخ ذكره له، وأخذ ما عنده من رأي ومن علم، وأرخصوا للجماعة، وقرأ ثلاثة:

عبدالعزيز بن الشيخ يقرأ في تفسير ابن كثير، وعلي وعبدالله يقرآن في البخاري، وكل من عنده دراية وفهم، إذا فاضوا في الباطن صاروا حلقا، يتذاكرون درس الشيخ رَحِمَهُ اللهُ.

والأجنبي الذي يبغي يركب لديرته، يصغي للمذاكرة، عارف أن أهل ديرته يسألون: إيش درس الشيخ فيه؟

ونحن يا حمولة، لنا مجلس بين العشاءين في الباطن، يجتمعون فيه أهل البلاد، ونسأل اثنين، والذي ما يعرف دينه يضرب، فأول يجلس فيه حسين، ثم علي بن الشيخ، وجلست فيه مدة نحو سنتين أو ثلاث على هذا الترتيب، ثم حمد بن حسين، هذا بعض ما حضرناه من سيرتهم.

فلما توفى الله عمك، حصل غفلة عن هذا الترتيب، لما فتح الله الدنيا، وكثرها على الناس، ووقع الإعراض عن كثير مما ذكرنا، لا كله، بل باق له بقايا، وحدث ما حدث من البلاوي بالعدو، وذا شيء أنت خابره، ورد الله لكم الكرة، أنت ووالدك رَحِمَهُ اللهُ، وعادت البلوى الأولى، وعافاك الله منها ومكنك غاية

التمكين، وتسببت في حفظ أموال الناس، ورفع أيدي البوادي، وهذا عمل صالح، ومن الواجبات.

ولكنك أصبحت اليوم في جيل غفلوا عن دينهم، إلا من شاء الله، وهم الأقلون، وأقبل الناس على دنياهم، لها يوالون، وعليها يعادون؛ فهم وإن صلوا وصاموا، فقد أعرضوا عن التوحيد، تعلماً وتعليماً، وصار أكثرهم خصوصاً أهل المناصب والولايات وأتباعهم، وأكثر الناس ليس له إخلاص ولا متابعة، كل يحوم إلى ما يراه ويشتهيه.

وأنت اليوم جعل الله لك القدرة على تجديد هذا الدين، تولي له وتعزل له، وتغضب له، وترضى له، وتبعث الدعاة والسعاة لكل بلد، وتقدم لله وتؤخر لله وتبعد لله، لا يدخل عليك في هذا هوى أحد يخل بالإخلاص، والمتابعة.

وتفهم حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: (من التمس رضى الله بسخط الناس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس)[1].

وقد قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝١٩﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩] ونظائرها في المائدة والكهف وطه والنجم وغيرها من القرآن.

---

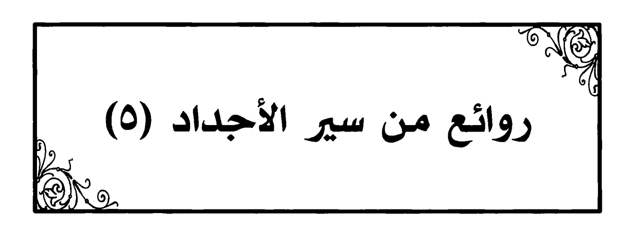
(١) أخرجه الترمذي في الزهد، باب من التمس رضى الله، برقم ٢٤١٤.

جدد هذا الدين الذي اخلولق، لما أقدرك الله على ذلك، والتمس من أهل الخير عدداً يدعون إلى هذا الدين، ويذكرونه الناس، ويعلمونه الجاهل والغافل، وبالله التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيد المرسلين وإمام المتقين، محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً، وأنت سالم والسلام)[١].

فرحم الله الجد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ورحم الله الأموات من ذريته، ووفق الأحياء للعمل الصالح والدعوة إلى الخير، فكن يا رعاك الله على نهجهم تسير ومن مشكاتهم تستنير، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



(١) الدرر السنية، (النصائح) ١٤/٨٤.



روائع من سير الأجداد (٥)

الكل منَّا يجد في نفسه نشاطاً وهمةً عالية إذا أقبل شهر رمضان، بل والكثير منا يجعل لنفسه وقتاً لتلاوة القرآن، إذ شهر رمضان المبارك شهر القرآن.

وما إن ينتصف الشهر حتى تبدأ هذه الهمة بالفتور وتتلاش شيئاً فشيئاً!!؟

وإذا انقضى شهر رمضان المبارك نلاحظ أننا لم نختم القرآن تلاوةً متأنية إلا مرةً واحدة، وربما لم نتجاوز الجزء أو الجزأين منه!!؟ ثم نعض أصابع الندم لماذا فرطنا في أوقاتنا في رمضان؟

لكن ما هو يا ترى حال الأجداد رحمهم الله مع القرآن في رمضان؟

كان الأجداد رحمهم الله أصحاب همة عالية تستمر هذه الهمة إلى أن ينقضي الشهر المبارك.

فقد حدثني سماحة العم الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ مفتي عام المملكة، أن الشيخ عمر بن حسن رَحِمَهُ اللهُ حدث عن والده الشيخ حسن بن حسين رَحِمَهُ اللهُ فقال: (كنت أنا ووالدي رَحِمَهُ اللهُ في البيت نتجاذب أطراف الحديث، فإذا بخبر دخول شهر رمضان المبارك،

فقام أبي وأخذ المشلح وخرج من البيت مسرعاً ولم أنهِ حديثي معه، وكان السرور يعلو محياه فرحاً بدخول الشهر المبارك.

تبعته لأنظر إلى أين يذهب مسرعاً هكذا، فالطريق الذي سلكه والدي ليس غريباً عليَّ، بل أعرفه جيداً، إنه طريق المسجد.

تبعته حتى دخل المسجد، وصلى ركعتين، ثم رفع يديه وأخذ يدعو الله تعالى طويلاً، ثم شرع في قراءة الفاتحة ثم سورة البقرة، فخرجت من المسجد وأنا مندهش.

لم يعد والدي إلى البيت، ولم نره طيلة أيام الشهر المبارك إلا في المسجد فقط، إذ كان والدي رحمه الله حافظاً للقرآن كسائر الناس، وكان يقرأ من حفظه، ولكن إذا ختم القرآن قام وخطَّ خطاً على جدار المسجد.

فلما بلغنا خبر العيد ذهبت مسرعاً إلى أبي في المسجد وأخبرته بالخبر، ومن غير أن يلاحظ أبي قمت أعد الخطوط التي خطها على الجدار فإذا بها مئة خط). أ.هـ

يا لله العجب، مئة خط، مئة ختمةٍ للقرآن في شهر واحد، إنها والله الهمة العالية التي تفوق الوصف.

هؤلاء هم أجدادنا، وهذه صفحةٌ من روائع صفحات حياتهم المشرقة، فسر على طريقهم يا رعاك الله تكن من أسعد الناس في الدنيا والآخرة.

فرحم الله الجد الإمام محمد بن عبدالوهاب، ورحم الله أبناءه وذريته الذين ساروا على نهجه، ورحم الله الشيخ حسن بن حسين وابنه الشيخ عمر بن حسن وجمعنا بهم في دار كرامته ومستقر رحمته.



القسم الثاني

فوائد علمية منتقاة

أمثال العرب من القرآن الكريم

روى الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده قال: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم يقول: سمعت أبي يقول: سألت الحسين بن الفضل فقلت: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن فهل تجد في كتاب الله (خير الأمور أوساطها)؟

قال: نعم في أربعة مواضع: قوله تعالى: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البَقَرَة: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفُرقان: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسرَاء: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسرَاء: ١١٠].

قلت: فهل تجد في كتاب الله (من جهل شيئاً عاداه)، قال: نعم، في موضعين: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ [يُونس: ٣٩]، ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١].

قلت: فهل تجد في كتاب الله (احذر شر من أحسنت إليه)؟

قال: نعم ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [التّوبَة: ٧٤].

قلت: فهل تجد في كتاب الله (ليس الخبر كالعيان)؟

قال: في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البَقَرَة: ٢٦٠].

قلت: فهل تجد (في الحركات البركات)؟

قال: في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النِّساء: ١٠٠].

قلت: فهل تجد (كما تدين تدان)؟

قال: في قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النِّساء: ١٢٣].

قلت: فهل تجد فيه قولهم: (حين تقلي ندري)؟

قال: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفُرقان: ٤٢].

قلت: فهل تجد فيه (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)؟

قال: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ [يُوسُف: ٦٤].

قلت: فهل تجد فيه (من أعان ظالماً سُلِط عليه)؟

قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ [الحجّ: ٤].

قلت: فهل تجد فيه قولهم: (لا تلد الحية إلا حية)؟

قال: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نُوح: ٢٧].

قلت: فهل تجد فيه: (للحيطان آذان)؟

قال: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧].

قلت: فهل تجد فيه: (الجاهل مرزوق والعالم محروم)؟

قال: ﴿مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥].

قلت: فهل تجد فيه (الحلال لا يأتيك إلا قوتاً والحرام لا يأتيك إلا جزافاً)؟

قال: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦٣][1].

❁ ❁ ❁

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ص: ٤٨.



كيف تعرف أنك على عقيدة أهل السنة والجماعة

قال الإمام عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أصل اثنين وسبعين هوى أربعة أهواء، فمن هذه الأربعة الأهواء تشعبت الاثنان وسبعون هوى: القدرية، والمرجئة، والشيعة، والخوارج، فمن قدم أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً على أصحاب رسول الله ﷺ ولم يتكلم في الباقين إلا بخير ودعا لهم؛ فقد خرج من التشيع أوله وآخره.

ومن قال الإيمان قول وعمل يزيد وينقص؛ فقد خرج من الأرجاء أوله وآخره.

ومن قال الصلاة خلف كل بر وفاجر والجهاد مع كل خليفة ولم ير الخروج على السلطان بالسيف ودعا لهم بالصلاح؛ فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره.

ومن قال المقادير كلها من الله عَزَّ وَجَلَّ خيرها وشرها يضل من يشاء ويهدي من يشاء؛ فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره وهو صاحب سنة[1].

(١) شرح السنة للبربهاري ص: ٥٧.

وقيل لسهل بن عبدالله التستري رحمه الله: متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة؟

قال: إذا عرف من نفسه عشر خصال:

١ ـ لا يترك الجماعة.

٢ ـ لا يسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

٣ ـ لا يخرج على هذه الأمة بسيف.

٤ ـ لا يكذب بالقدر.

٥ ـ لا يشك في الإيمان.

٦ ـ لا يماري في الدين.

٧ ـ لا يترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة بالذنب.

٨ ـ لا يترك المسح على الخفين.

٩ ـ لا يترك الجماعة خلف كلّ والٍ جار أو عدل[١].

قال الإمام المروذي رحمه الله: قلت لأبي عبدالله الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله من مات على الإسلام والسنة مات على الخير، قال: اسكت: بل مات على الخير كله[٢].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١/١٨٣. قلت: وأصول أهل السنة والجماعة لا تنحصر في العشرة المذكورة، فمنها على سبيل المثال: القول بأن القرآن كلام الله المنزل غير المخلوق، وأن الله تعالى تكلم به على الحقيقة، ومنها تقديم أبي بكر وعمر وعثمان وعلي على بقية الصحابة رضي الله عنهم.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ١١/٢٩٦.

وقيل للإمام أحمد رحمه الله: أحياك الله يا أبا عبدالله على الاسلام، قال: والسنة[١].

وقال سهل بن عبدالله التستري رحمه الله: ما أحدث أحد في العلم شيئاً إلا سئل عنه يوم القيامة، فإن وافق السنة سلم وإلا فلا[٢].

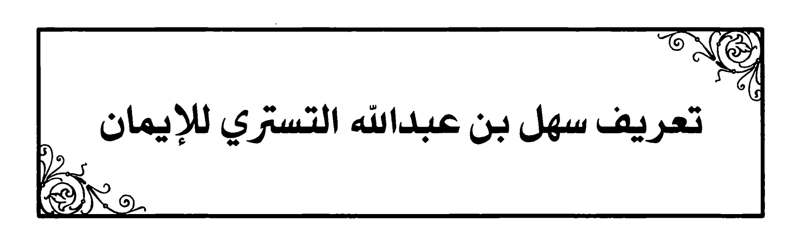
قلت: ينبغي لكل مسلم أن يحرص على اتباع السنة، جاء في الأثر عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: ما فرحت بشيء من الإسلام أشد فرحاً بأن قلبي لم يدخله شيء من هذه الأهواء[٣].



(١) المناقب لابن الجوزي ص: ١٧٧.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٢٩٠/١٣.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١٣٠/١.



تعريف سهل بن عبدالله التستري للإيمان

نقله شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن سهل بن عبدالله التستري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه سُئِلَ عن الإيمان ما هو؟

فقال: هو قول ونية وعمل وسنة؛ لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولاً وعملاً ونية بلا سنة فهو بدعة[1].



(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٧١/٧، وانظر الإبانة لابن بطة ٢/ ٨١٤.

من حفظ دين الله أصبح من سادات العالم

عن الزهري قال: (قدمت على عبدالملك بن مروان فقال: من أين قدمت يا زهري؟ قلت: من مكة. قال: فمن خلفت بها يسود أهلها؟ قلت: عطاء بن أبي رباح. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: وبم سادهم؟ قلت: بالديانة والرواية. قال: إن أهل الديانة الرواية لينبغي أن يسودوا. قال: فمن يسود أهل اليمن؟ قال: قلت: طاووس بن كيسان. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: وبم سادهم؟ قلت: بما سادهم به عطاء. قال: إنه لينبغي. قال: فمن يسود أهل مصر؟ قال: قلت: يزيد بن أبي حبيب. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: فمن يسود أهل الشام؟ قال: قلت: مكحول. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي عبد نوبي أعتقته امرأة من هذيل. قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: فمن يسود أهل خراسان؟ قال: قلت: الضحاك بن مزاحم. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قال: قلت: الحسن بن أبي الحسن. قال:

فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: ويلك فمن يسود أهل الكوفة؟ قال: قلت: إبراهيم النخعي. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من العرب. قال: ويلك يا زهري فرجت عني والله لتسودن الموالي على العرب حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها. قال: قلت: يا أمير المؤمنين؟ إنما هو أمر الله ودينه، من حفظه ساد ومن ضيعه سقط).[(١)] بنصه، من رواية الحاكم بسنده عن الزهري وقوبل عليه.

وأسند العباس بن محمد، بن مصعب، قال: (وخرج من مرو أربعة من أولاد العبيد ما منهم أحد إلا وهو إمام عصره:

عبدالله بن المبارك، ومبارك عبد.

وإبراهيم بن ميمون الصائغ، وميمون عبد.

والحسن بن واقد، وواقد عبد.

وأبو حمزة محمد بن ميمون السكري، وميمون عبد)[(٢)].

قال ابن الصلاح معلقاً على هذه القصة: (وَفِي هَذَا بَعْضُ الْمَيْلِ، فَقَدْ كَانَ حِينَئِذٍ مِنَ الْعَرَبِ غَيْرَ ابْنِ الْمُسَيَّبِ فُقَهَاءُ أَئِمَّةٌ مَشَاهِيرُ، مِنْهُمْ الشَّعْبِيُّ وَالنَّخَعِيُّ، وَجَمِيعُ الْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ مِنْهُمُ ابْنُ الْمُسَيَّبِ عَرَبٌ إِلَّا سُلَيْمَانَ بْنَ يَسَارٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ)[(٣)].

وعلَّق المحقق بشار بن عواد معروف على رواية الزهري

---

(١) تهذيب الكمال ٨١/٢٠، معرفة علوم الحديث ١٩٨ - ١٩٩، وتحفة الأحوذي ٦٢/١ - ٦٣ و ٢١٦/٨ - ٢١٧.

(٢) علوم الحاكم ١٩٨ - ١٩٩.

(٣) علوم الحديث لأبن الصلاح، للشهرزوري، ص: ٤٠٤.

بقوله: (هذه الحكايات من وضع الشعوبية أعداء الاسلام يدسون السم بالدسم، وراويها الوليد بن محمد الموقري مولى لبني أمية متروك، كذبه يحيى بن معين وغيره وهو وضاع، وأمره بيِّن في الضعفاء، نسألك اللهم العافية والسلامة)[1].

قلت: ومع ضعف رواية الزهري هذه إلا أن عبارته الأخيرة صحيحة تستحق التأمل: (إنما هو أمر الله ودينه من حفظه ساد ومن ضيعه سقط)، والواقع يشهد لذلك، فلنحافظ على ديننا الذي هو عصمة أمرنا، ففيه رفعة شأننا وصلاح دنيانا وأخرانا.



(١) تهذيب الكمال ٨٢/٢٠.



اعتنِ بخاصة نفسك

قال الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي رحمه الله في أدب الدنيا والدين: (فَكُنْ أَيُّهَا الْعَاقِلُ مُقْبِلًا عَلَى شَانِكَ، رَاضِيًا عَنْ زَمَانِك، سِلْمًا لِأَهْلِ دَهْرِك، جَارِيًا عَلَى عَادَةِ عَصْرِك، مُنْقَادًا لِمَنْ قَدَّمَهُ النَّاسُ عَلَيْك، مُتَحَنِّنًا عَلَى مَنْ قَدَّمَك النَّاسُ عَلَيْهِ، وَلَا تُبَايِنْهُمْ بِالْعُزْلَةِ عَنْهُمْ فَيَمْقُتُوك، وَلَا تُجَاهِرْهُمْ بِالْمُخَالَفَةِ لَهُمْ فَيُعَادُوك، فَإِنَّهُ لَا عَيْشَ لِمَمْقُوتٍ وَلَا رَاحَةَ لِمُعَادِي)[1].



(١) أدب الدنيا والدين للماوردي ص: ٣٥٧.



فائدة في التقبيل بقصد العبادة

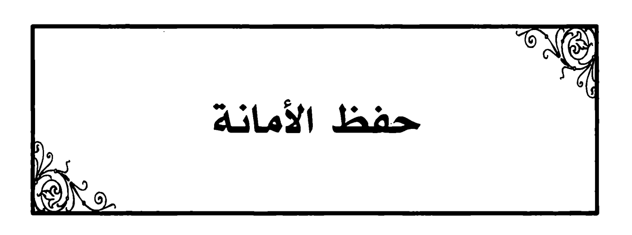


قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (واتفق العلماء على أن من زار قبر النبي ﷺ أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين والصحابة وأهل البيت وغيرهم؛ أنه لا يتمسح به ولا يقبله، بل ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيلها إلا الحجر الأسود، وقد ثبت في الصحيحين أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك).

ولهذا لا يسن باتفاق الأئمة أن يقبل الرجل أو يستلم ركني البيت اللذين يليان الحجر، ولا جدران البيت، ولا مقام إبراهيم، ولا صخرة بيت المقدس، ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين، حتى تنازع الفقهاء في وضع اليد على منبر سيدنا رسول الله ﷺ لما كان موجوداً؛ فكرهه مالك وغيره لأنه بدعة، وذكر أن مالكاً لما رأى عطاء فعل ذلك لم يأخذ عنه العلم، ورخص فيه أحمد وغيره؛ لأن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فعله، وأما التمسح بقبر النبي ﷺ وتقبيله فكلهم كره ذلك ونهى عنه، وذلك لأنهم علموا ما قصده النبي ﷺ من حسم مادة الشرك وتحقيق التوحيد وإخلاص الدين لله رب العالمين)(١).

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٧/٧٩.



حفظ الأمانة

حكي أنه كان بمرو قاض اسمه نوح بن مريم، وكان رئيساً أيضاً وكانت له بنت ذات جمال خطبها جماعة من الأعيان والأكابر، وكان له غلام هندي يقوم بالنظارة على بساتينه، فذهب يوماً إلى البستان فطلب من غلامه شيئاً من العنب فأتى بعنب حامض فقال له: هات عنباً حلواً فأتى بحامض فقال القاضي: ويحك ما تعرف الحلو من الحامض. فقال: بلى ولكنك امرتني بحفظها وما امرتني بالأكل منها، ومن لا يأكل لا يعرف.

فتعجب القاضي من كلامه وقال: حفظ الله عليك أمانتك. وزوج منه ابنته فولدت عبدالله بن المبارك المشهور بالعلم والورع، وكان يحج سنة ويغزو في سنة أخرى[1].

قلت: حفظ الأمانة حثنا عليه ديننا الحنيف، فمن صفات المؤمنين التي ذكرها الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨﴾ [المؤمنون: ٨]، وعواقبها كبيرة وجميلة، يجدها المرء في حياته الدنيا وبعد مماته، يجدها في صلاح نفسه وصلاح ذريته، وهذا أمر مجرب.

(١) آثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني، ص: ٤٥٧.



الدنيا دوارة

الصحابي الجليل وائل بن حجر الحضرمي رضي الله عنه، سليل ملوك اليمن، قدم على رسول الله ﷺ معلناً إسلامه، وكان ﷺ قد قال لأصحابه قبل وصول وائل: (يأتيكم بقية أبناء الملوك)، فلما أتى وائل رحّب به النبي ﷺ وأدناه من نفسه وقرب مجلسه وبسط له رداءه، وقال: (اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده)، ثم أعطاه أرضاً نظير ما ترك خلفه من المُلك والزعامة، وأرسل معه معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما ليدله على الأرض، وكان معاوية وقتها من شدة فقره لا ينتعل حذاءً.

فقال معاوية لوائل: أردفني على الناقة خلفك.

فقال وائل: ليس شحاً بالناقة ولكنك لست رديف الملوك.

فقال معاوية: إذن أعطني نعلك.

فقال له وائل: ليس شحاً بالنعل، ولكنك لستَ ممن ينتعل أحذية الملوك. ولكن امشِ في ظل الناقة.

ثم أخذ الزمن يدور: وولى الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه معاوية على الشام، ثم أبقاه عثمان، ثم حدث ما حدث وآلت الخلافة إلى معاوية.

وجاء وائل بن حجر رضي الله عنه إلى الشام وقد جاوز الثمانين، ودخل على معاوية، وكان جالساً على كرسي الملك، فنزل وأجلس وائلاً مكانه، ثم ذكَّره بالذي كان بينهما فيما مضى، وأمر له بمالٍ، فقال وائل رضي الله عنه: أعطه من هو أحق به مني، ووددتُ بعد ما رأيت من حلمك لو رجع بنا الزمان لأحملك يومها بين يديَّ(١).

فائدة: اقتصد في علاقاتك وتعاملاتك مع الآخرين، فالدنيا تدور لتقف بك يوماً ما عند نفس الحدث.



(١) البداية والنهاية لابن كثير ٥/٨٠.



بما تدعو إن ضاق عليك الرزق

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ضَافَ النَّبِيُّ ﷺ - أي استضاف ضيفاً -، فَأَرْسَلَ إِلَى أَزْوَاجِهِ يَبْتَغِي عِنْدَهُنَّ طَعَامًا، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ، فَقَالَ: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ، فَإِنَّهُ لا يَمْلِكُهَا إِلا أَنْتَ**، فَأُهْدِيَتْ إِلَيْهِ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ[١]، فَقَالَ: هَذِهِ مِنْ فَضْلِ اللهِ، وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ.

قلت: إسناده لا بأس به، وقال الإمام الهيثمي رحمه الله في مجمع الزوائد: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ الْبُرْجُمِيِّ، وَهُوَ ثِقَةٌ[٢].

والحديث بوب عليه الإمام ابن أبي شيبة رحمه الله في مصنفه فقال: الرَّجُلُ يُصِيبُهُ الْجُوعُ أَوْ يَضِيقُ عَلَيْهِ الرِّزْقُ مَا يَدْعُو بِهِ[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) شاة مصلية: أي مشوية.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ١٠/١٥٩، وانظر المعجم الكبير للطبراني ١٠/١٧٨، حلية الأولياء للأصبهاني ٧/٢٣٩.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٧/٩٤.



فضل العلم

قال الإمام المبجل محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله: كفى بالعلم فضيلة أن يدعيه من ليس فيه، ويفرح إذا نسب إليه، وكفى بالجهل شراً أن يتبرأ منه من هو فيه، ويغضب إذا نسب إليه[(١)].

وقال رحمه الله: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.

وقال: من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم.

وقال: ما تقرب إلى الله تعالى بشيء بعد الفرائض أفضل من طلب العلم[(٢)].

وقال: لا يطلبُ هذا العِلم أحدٌ بالمال وعز النفس، فيفلح، ولكن من طلبه بذلة النفسِ وضيق العيشِ وحرمة العلم أفلح[(٣)].

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: لاشك أن لذة العلم اعظم اللذات، واللذة التي تبقى بعد الموت وتنفع في الآخرة هي لذة العلم بالله والعمل له[(٤)].

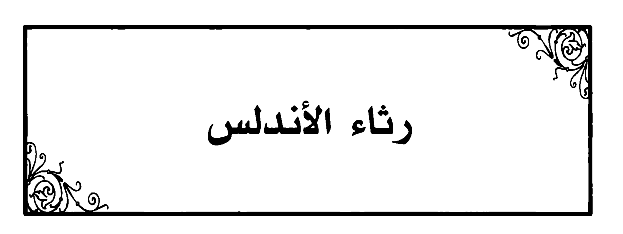
---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٢٠/١.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي ٧٥/١.

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ٩٨/١.

(٤) مجموع الفتاوى ١٦٢/٤.



رثاء الأندلس

أنشد أبو البقاء صالح بن شريف الرندي المتوفى سنة ٧٩٨هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصيدة عظيمة مبكية في رثاء الأندلس، واصفاً حالها وحال أهلها بما يدمي القلب.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لكل شيء إذا ما تم نقصان ... فلا يغرَّ بطيب العيش إنسانُ
هي الأمور كما شاهدْتَها دول ... من سرهُ زَمنٌ ساءته أزمانُ
وهذه الدار لا تُبقي على أحد ... ولا يدوم على حال لها شانُ
يُمزق الدهر حتمًا كل سابغةٍ ... إذا نبت مشْرفيّاتٌ وخُرصانُ
وينتضي كلّ سيف للفناء ولوْ ... كان ابنَ ذي يزَن والغمدَ غُمدان
أين الملوك ذَوو التيجان من يمنٍ ... وأين منهم أكاليلٌ وتيجانُ؟
وأين ما شاده شدَّادُ في إرمٍ ... وأين ما ساسه في الفرس ساسانُ؟
وأين ما حازه قارون من ذهب ... وأين عادٌ وشدادٌ وقحطانُ؟
أتى على الكُل أمر لا مَرد له ... حتى قَضَوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من مُلك ومن مَلِك ... كما حكى عن خيال الطّيفِ وسْنانُ
دارَ الزّمانُ على (دارا) وقاتِلِه ... وأمَّ كسرى فما آواه إيوانُ
كأنما الصَّعب لم يسْهُل له سببُ ... يومًا ولا مَلكَ الدُنيا سُليمانُ

فجائعُ الدهر أنواعٌ مُنوَّعة ... وللزمان مسرّاتٌ وأحزانُ
وللحوادث سُلوان يسهلها ... وما لِمَا حلّ بالإسلام سُلوانُ
دهى الجزيرة أمرٌ لا عزاءَ له ... هوى له أُحدٌ وانهدَّ ثهلانُ
أصابها العينُ في الإسلام فارتزأتْ ... حتى خَلت منه أقطارٌ وبُلدانُ
فاسأل (بلنسيةً) ما شأنُ (مُرسيةٍ)؟ ... وأينَ (شاطبةٌ) أمْ أينَ (جَيَّانُ)؟
وأين (قُرطبةٌ) دارُ العلوم؟ فكم ... من عالمٍ قد سما فيها له شانُ
وأين (حِمصٌ) وما تحويه من نزهٍ ... ونهرهُا العَذبُ فياضٌ وملآنُ؟
قواعدٌ كنَّ أركانَ البلاد فما ... عسى البقاءُ إذا لم تبقَ أركانُ
تبكي الحنيفيةُ البيضاءُ من أسفٍ ... كما بكى لفراق الإلفِ هيمانُ
على ديار من الإسلام خالية ... قد أقفرت ولها بالكفر عُمرانُ
حيث المساجد قد صارت كنائسَ ما ... فيهنَّ إلا نواقيسٌ وصُلبانُ
حتى المحاريبُ تبكي وهي جامدةٌ ... حتى المنابرُ ترثي وهي عيدانُ
يا غافلاً وله في الدهرِ موعظةٌ ... إن كنت في سِنَةٍ فالدهرُ يقظانُ
وماشيًا مرحًا يلهيه موطنهُ ... أبعد حمصٍ تَغُرُّ المرءَ أوطانُ؟
تلك المصيبةُ أنستْ ما تقدمها ... وما لها مع طولَ الدهرِ نسيانُ
يا راكبين عتاق الخيلِ ضامرةً ... كأنها في مجال السبقِ عقبانُ
وحاملين سيُوفَ الهندِ مرهفةً ... كأنها في ظلام النقع نيرانُ
وراتعين وراء البحر في دعةٍ ... لهم بأوطانهم عزٌّ وسلطانُ
أعندكم نبأ من أهل أندلسٍ ... فقد سرى بحديثِ القومِ رُكبانُ؟
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم ... قتلى وأسرى فما يهتز إنسان؟
ما ذا التقاُطع في الإسلام بينكمُ ... وأنتمْ يا عبادَ الله إخوانُ؟
ألا نفوسٌ أبِيَّاتٌ لها همَمٌ ... أما على الخيرِ أنصارٌ وأعوانُ

يا من لذلةِ قوم بعدَ عزِّهمُ أحال حالهمُ جورٌ وطُغيانُ
بالأمس كانوا ملوكًا في منازلهم واليومَ هم في بلاد الكفرِ عُبدانُ
فلو تراهم حيارى لا دليل لهمْ عليهمُ من ثيابِ الذلِ ألوانُ
ولو رأيتَ بكاهُم عندَ بيعهمُ لهالكَ الأمرُ واستهوتكَ أحزانُ
يا ربَّ أمٍّ وطفلٍ حيلَ بينهما كما تفرقُ أرواحٌ وأبدانُ
وطفلةٍ مثل حسنِ الشمسِ إذ طلعت كأنما هي ياقوتٌ ومرجانُ
يقودُها العلجُ للمكروه مكرهةً والعينُ باكيةٌ والقلبُ حيرانُ
لمثل هذا يذوبُ القلبُ من كمدٍ إن كان في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ

قلت: والله إنها قصيدة عظيمة تبكي القلب وتدمع العين، وإنه لينعصر القلب عند مشاهدة آثار المسلمين في الأندلس.

فلله الأمر من قبل ومن بعد، ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران: ١٤٠]، إذاً لا بد من الاعتبار، ومعرفة أن البعد عن الله تعالى عواقبه وخيمة.



قصيدة الأرملة المرضعة للشاعر الكبير معروف الرصافي

في يوم من الأيام كان الشاعر الكبير معروف الرصافي جالساً في دكّان صديقه محمد علي التتنجي الكائن أمام جامع الحيدر خانة الحالي(١)، بينما كان الرصافي يتجاذب أطراف الحديث مع صديقه التتنجي وإذا بامرأة محجبة، يوحي منظرها العام بأنها فقيرة، وكانت تحمل صحناً من (الجينكو) وطلبت بالإشارة من صاحبه أن يعطيها بضعة قروش كثمن لهذا الصحن، لكن صاحب الدكان خرج إليها وحدثها همساً، فانصرفت المرأة الفقيرة.

هذا المشهد جعل الشاعر الرصافي يرسم علامات استفهام كبيرة، وقد حيّره تصرف السيدة الفقيرة، وتصرف صاحبه التتنجي معها همساً، فاستفسر من صديقه عنها، فقال له: إنها أرملة، تعيل يتيمين، وهم الآن جياع، وتريد أن ترهن الصحن

---

(١) جامع الحيدرخانة من مساجد بغداد القديمة والتراثية، ويقع في شارع الرشيد، بناه حيدر باشا جلبي بن محمد جلبي الشاه بندر المنسوب إليه، ثم أعاد بناءه وتوسعته الوزير داود باشا الكرجي آخر ولاة المماليك، وكان والي بغداد عام ١٢٣٤هـ، وفرغ من تعميره وبنائه عام ١٢٤٢هـ.

بأربعة قروش، كي تشتري لهما خبزاً؛ فما كان من الرصافي إلا أن لحِقَ بها وأعطاها اثنا عشر قرشاً كانت كل ما يملكه الرصافي في جيبه، فأخذت السيدة الأرملة القروش وهي في حالة تردد وحياء، وسلمت الصحن للرصافي وهي تقول: (الله يرضى عليك تفضل وخذ الصحن)، فرفض الرصافي، وغادرها عائداً إلى دكان صديقه، وقلبه يعتصر من الألم.

عاد الرصافي إلى بيته، ولم يستطع النوم ليلتها، وراح يكتب هذه القصيدة والدموع تنهمر من عينيه كما أوضح هو بقلمه، وهذا يعني أن قصيدة الأرملة المرضعة كُتِبت بدموع عيني الرصافي، فجاء التعبير عن المأساة تجسيداً صادقاً لدقة ورقة التعبير عن مشكلة اجتماعية استأثرت باهتمام المعلمين في المدارس فيما بعد.

وتعتبر هذه القصيدة من روائع الشعر العربي في عصر النهضة.

لَقِيتُها لَيْتَنِي مَا كُنْتُ أَلْقَاهَا ... تَمْشِي وَقَدْ أَثْقَلَ الإمْلاقُ مَمْشَاهَا

أَثْوَابُهَا رَثَّةٌ والرِّجْلُ حَافِيَةٌ ... وَالدَّمْعُ تَذْرِفُهُ فِي الخَدِّ عَيْنَاهَا

بَكَتْ مِنَ الفَقْرِ فَاحْمَرَّتْ مَدَامِعُهَا ... وَاصْفَرَّ كَالوَرْسِ مِنْ جُوعٍ مُحَيَّاهَا

مَاتَ الذي كَانَ يَحْمِيهَا وَيُسْعِدُهَا ... فَالدَّهْرُ مِنْ بَعْدِهِ بِالفَقْرِ أَشْقَاهَا

المَوْتُ أَفْجَعَهَا وَالفَقْرُ أَوْجَعَهَا ... وَالهَمُّ أَنْحَلَهَا وَالغَمُّ أَضْنَاهَا

فَمَنْظَرُ الحُزْنِ مَشْهُودٌ بِمَنْظَرِهَا ... وَالبُؤْسُ مَرْآهُ مَقْرُونٌ بِمَرْآهَا

كَرُّ الجَدِيدَيْنِ قَدْ أَبْلَى عَبَاءَتَهَا ... فَانْشَقَّ أَسْفَلُهَا وَانْشَقَّ أَعْلاَهَا

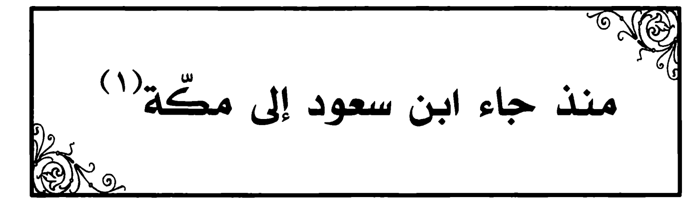
وَمَزَّقَ الدَّهْرُ وَيْلَ الدَّهْرِ مِئْزَرَهَا ... حَتَّى بَدَا مِنْ شُقُوقِ الثَّوْبِ جَنْبَاهَا

تَمْشِي بِأَطْمَارِهَا وَالبَرْدُ يَلْسَعُهَا كَأَنَّهُ عَقْرَبٌ شَالَتْ زُبَانَاهَا
حَتَّى غَدَا جِسْمُهَا بِالبَرْدِ مُرْتَجِفاً كَالغُصْنِ في الرِّيحِ وَاصْطَكَّتْ ثَنَايَاهَا
تَمْشِي وَتَحْمِلُ بِاليُسْرَى وَلِيدَتَهَا حَمْلاً عَلَى الصَّدْرِ مَدْعُوماً بِيُمْنَاهَا
قَدْ قَمَّطَتْهَا بِأَهْدَامٍ مُمَزَّقَةٍ في العَيْنِ مَنْشَرُهَا سَمْجٌ وَمَطْوَاهَا
مَا أَنْسَ لا أنْسَ أَنِّي كُنْتُ أَسْمَعُهَا تَشْكُو إِلَى رَبِّهَا أَوْصَابَ دُنْيَاهَا
تَقُولُ يَا رَبِّ، لا تَتْرُكْ بِلَا لَبَنٍ هَذِي الرَّضِيعَةَ وَارْحَمْنِي وَإِيَاهَا
مَا تَصْنَعُ الأُمُّ في تَرْبِيبِ طِفْلَتِهَا إِنْ مَسَّهَا الضُّرُّ حَتَّى جَفَّ ثَدْيَاهَا
يَا رَبِّ مَا حِيلَتِي فِيهَا وَقَدْ ذَبُلَتْ كَزَهْرَةِ الرَّوْضِ فَقْدُ الغَيْثِ أَظْمَاهَا
مَا بَالُهَا وَهْيَ طُولَ اللَّيْلِ بَاكِيَةٌ وَالأُمُّ سَاهِرَةٌ تَبْكِي لِمَبْكَاهَا
يَكَادُ يَنْقَدُّ قَلْبِي حِينَ أَنْظُرُهَا تَبْكِي وَتَفْتَحُ لِي مِنْ جُوعِهَا فَاهَا
وَيْلُمِّهَا طِفْلَةً بَاتَتْ مُرَوَّعَةً وَبِتُّ مِنْ حَوْلِهَا في اللَّيْلِ أَرْعَاهَا
تَبْكِي لِتَشْكُوَ مِنْ دَاءٍ أَلَمَّ بِهَا وَلَسْتُ أَفْهَمُ مِنْهَا كُنْهَ شَكْوَاهَا
قَدْ فَاتَهَا النُّطْقُ كَالعَجْمَاءِ، أَرْحَمُهَا وَلَسْتُ أَعْلَمُ أَيَّ السُّقْمِ آذَاهَا
وَيْحَ ابْنَتِي إِنَّ رَيْبَ الدَّهْرِ رَوَّعَها بِالفَقْرِ وَاليُتْمِ، آهاً مِنْهُمَا آهَا
كَانَتْ مُصِيبَتُهَا بِالفَقْرِ وَاحِدَةً وَمَوْتُ وَالِدِهَا بِاليُتْمِ ثَنَّاهَا
هَذَا الذي في طَرِيقِي كُنْتُ أَسْمَعُهُ مِنْهَا فَأَثَّرَ في نَفْسِي وَأَشْجَاهَا
حَتَّى دَنَوْتُ إِلَيْهَا وَهْيَ مَاشِيَةٌ وَأَدْمُعِي أَوْسَعَتْ في الخَدِّ مَجْرَاهَا
وَقُلْتُ: يَا أُخْتُ مَهْلاً إِنَّنِي رَجُلٌ أُشَارِكُ النَّاسَ طُرّاً في بَلَايَاهَا
سَمِعْتُ يَا أُخْتُ شَكْوَى تَهْمِسِينَ بِهَا في قَالَةٍ أَوْجَعَتْ قَلْبِي بِفَحْوَاهَا
هَلْ تَسْمَحُ الأُخْتُ لِي أَنِّي أُشَاطِرُهَا مَا في يَدِي الآنَ أَسْتَرْضِي بِهِ اللهَ
ثُمَّ اجْتَذَبْتُ لَهَا مِنْ جَيْبِ مِلْحَفَتِي دَرَاهِماً كُنْتُ أَسْتَبْقِي بَقَايَاهَا
وَقُلْتُ يَا أُخْتُ أَرْجُو مِنْكِ تَكْرِمَتِي بِأَخْذِهَا دُونَ مَا مَنٍّ تَغَشَّاهَا

فَأَرْسَلَتْ نَظْرَةً رَعْشَاءَ رَاجِفَةً تَرْمِي السِّهَامَ وَقَلْبِي مِنْ رَمَايَاهَا
وَأَخْرَجَتْ زَفَرَاتٍ مِنْ جَوَانِحِهَا كَالنَّارِ تَصْعَدُ مِنْ أَعْمَاقِ أَحْشَاهَا
وَأَجْهَشَتْ ثُمَّ قَالَتْ وَهْيَ بَاكِيَةٌ وَاهاً لِمِثْلِكَ مِنْ ذِي رِقَّةٍ وَاهَا
لَوْ عَمَّ في النَّاسِ حِسٌّ مِثْلُ حِسِّكَ لِي مَا تَاهَ في فَلَوَاتِ الفَقْرِ مَنْ تَاهَا
أَوْ كَانَ في النَّاسِ إِنْصَافٌ وَمَرْحَمَةٌ لَمْ تَشْكُ أَرْمَلَةٌ ضَنْكاً بِدُنْيَاهَا
هَذِي حِكَايَةُ حَالٍ جِئْتُ أَذْكُرُهَا وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَى الأَحْرَارِ فَحْوَاهَا
أَوْلَى الأَنَامِ بِعَطْفِ النَّاسِ أَرْمَلَةٌ وَأَشْرَفُ النَّاسِ مَنْ بِالمَالِ وَاسَاهَا

رحم الله الشاعر معروف الرصافي فقد أبدع في الوصف.





منذ جاء ابن سعود إلى مكّة[١]

قال العلامة محب الدين الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ:

(حدثني شاب فلسطيني متعلم قال: ركبتُ مع بدوي من قبيلة "حرب" بعيراً، سافرتُ عليه من مكة إلى المدينة، وفيما كنا نسري في الليل أخذتُ أغنّي!!

فقال له الجمّال: أليس خيراً لك لو أنك سبّحتَ الله بدلا من هذا الغناء؟

قلت: بلى، ولكن النفس تشتهي أن يكون ذلك تارة وتارة.

فقال: لا تعط النفس هواها.

فقلت: من أي القبائل أنت؟

قال: من حرب، ومنازلنا هاهنا بين الحرمين الشريفين.

قلتُ: منذ كم صرت تؤثر التسبيحَ على الغناء؟

قال: منذ تعلمنا الخوفَ من الله، وصرنا نؤدي فرائض الله.

قلت: ومتى كان ذلك؟

---

(١) المقالات السلفية، للشيخ محب الدين الخطيب ص:٣٢.

قال: منذ جاء ابن سعود إلى مكّة. وكنا قبل ذلك نقتل الرجل إذا ظننا أن في جيبه ريالاً، وقد نقتله ثم لا نجد الريال.

أما الآن فإننا نبصر الذهب ملقى على قارعة الطريق فلا يمسه أحد منا إلا أن يكون هو صاحبه).

أخي القاري الكريم: لي مع القصة التي ذكرها الشيخ محب الدين الخطيب وقفة مهمة، وهي أنه يجب علينا جميعاً في هذه البلاد المباركة، المملكة العربية السعودية أن نتذكر آلاء الله، ونعم الله، وعطاء الله، فنشكُرَهُ سبحانه وتعالى ليزيدنا، فإنه من لم يشكر الله أصابه الهلاك والدمار، قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النّحل: ١١٢].

لننظر إلى النعم التي نعيشها، نعمة الأمن في الأوطان، والصحة في الأبدان، وتحكيم الشريعة وتطبيق القرآن، كل ذلك بفضل الله تعالى وحده، ثم بفضل تمسكنا بمنهج السلف الصالح الذي سار عليه أئمتنا وولاة أمرنا أيدهم الله بتأييده وحفظهم من كل سوء ومكروه.

فإذا أردنا أن نعلم عظم هذه النعمة علينا فلننظر في حال الأمم والشعوب حولنا، كيف يعيشون ويتقلبون في أنواع من البلايا، أما هذه البلاد المباركة لما أنعم الله عليها بقادةٍ وحكام يطبقون شرع الله تعالى، رغد عيشُها، وكثر خيرُها، وهنأ شعبها، فليس لنا والله إلا أن نتمسك بهذا الدين، وأن نعض بالنواجذ

على هدي سيد المرسلين، فهذا هو الطريق الأوحد للتمكين في الأرض والاستخلاف فيها، وهو الطريق الأوحد لبسط الأمن وبقاء النعم ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾ [القَصَص: ٥٧].

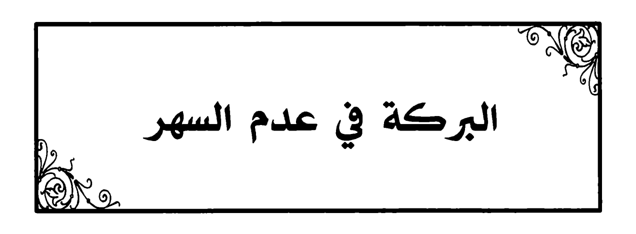
أخي القاري الكريم: يقول الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النُّور: ٥٥]، قد كانت هذه البلاد كما يحكي التاريخ مسرحاً من الفتن والحروب والنهب والسلب، حتى أنعم الله على أهلها بظهور دعوة التوحيد على يد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبقيام الحكم بشريعة الله على يد الإمام محمد بن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي نصر الله به الدين، وأعلا به كلمة التوحيد، وأعز به السنة، ورفع به مذهب السلف الصالح، حتى أصبحت هذه البلاد المباركة ولا تزال ولله الحمد والمنة مضرب المثل في الأمن والاستقرار، مما لا تظفر به أمة من الأمم، ولا تزال هذه البلاد المباركة في أمن واستقرار ورغد عيش ما دامت متمسكة بعقيدة التوحيد محكمة لشريعة الله، وصدق الله ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ [الحَجّ: ٤١].

ثم إن الله تعالى بمنه وكرمه قد أنعم علينا في هذه البلاد المباركة، في أوائل القرن الماضي، بنعمة عظيمة هي نعمة الأمن

والاستقرار، هذه النعمة جاءت منحة من الله تعالى على يد رجلٍ فذٍ في التاريخ قل نظيره في الوقت المعاصر، إنه الإمام الموحد المجاهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمٰن طيب الله ثراه، الذي نقل هذا البلد نقلةً حضارية، ووحد أرجاءه، وجمع شتاته، وأخرج الله له كنوز الأرض، وجعل الله الملك له في هذه البلاد ولذريته من بعده، هذا الرجل الذي بنى مملكته على التوحيد والعقيدة، جعله الله سبباً في أن ينعم العباد وضيوف الرحمن بالأمن والأمان، والاستقرار والطمأنينة؛ لأن النية الصادقة، والإيمان القوي، والحرص على تطبيق الشريعة، جعلا منه سداً منيعاً أمام رغبات أهل الفساد والباطل.

فها هي المملكة العربية السعودية عزيزة شامخة، لا تؤثر فيها الفتن ولا الحروب الطاحنة من حولها، بل كل من أراد بها سوءاً أو مكروهاً رد الله كيده في نحره، وجعل الله دائرة السوءِ عليه، فالمواطنون والمقيمون يسيرون في أرجائها آمنين مطمئنين، لا يخشون إلا الله تعالى، وخير شاهد على ذلك ما ذكره الشيخ محب الدين الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.





البركة في عدم السهر

تحاور أحد الزنادقة مع إبراهيم بن أدهم، فقال الزنديق: ليس هناك شيء اسمه بركة!!

فرد عليه إبراهيم ابن أدهم فقال: أرأيت الكلاب والأغنام؟

قال الزنديق: نعم.

قال إبراهيم بن أدهم: أيها تنجب أكثر؟

قال الزنديق: الكلاب تنجب الى سبعة، أما الأغنام فتنجب إلى ثلاثة.

قال إبراهيم بن أدهم: لو نظرت حولك أيهما اكثر؟

قال الزنديق: ارى الأغنام أكثر.

قال إبراهيم بن أدهم: أليس هي التي تذبح لإكرام الضيف، والاضاحي والمناسبات؟

قال الزنديق: نعم.

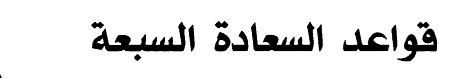
قال إبراهيم بن أدهم: هذه هي البركة.

قال الزنديق: ولماذا يكون ذلك، لماذا استحقت الأغنام البركة دون الكلاب؟

قال إبراهيم بن أدهم: لأن الأغنام ترقد أول الليل وتقوم قبل الفجر، فتدرك وقت الرحمة فتنزل عليها البركة، وأما الكلاب تنبح طول الليل فإذا دنا وقت الفجر هجست ونامت ويفوت عليها وقت الرحمة فتنزع منها البركة.

قلت: تفكروا في كثرة السهر في غير فائدة، فهي والله التي اذهبت البركة في أنفس الكثيرين واموالهم.





قواعد السعادة السبعة

١ - لا تكره أحد مهما أخطأ في حقك.

٢ - لا تقلق أبداً.

٣ - عش في بساطة مهما على شأنك.

٤ - توقع خيراً مهما كثر البلاء.

٥ - أعطِ الكثير ولو حُرمت.

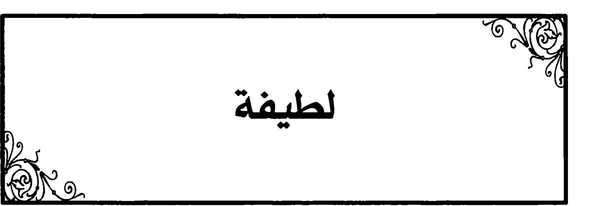
٦ - لا تقطع دعاءك لأخيك بظهر الغيب.

٧ - ابتسم ولو القلب يقطر دماً.

تأملتها فوجدتها جمعت أسباب السعادة، وأجمع منها قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩)﴾ [الحجر: ٩٧ - ٩٩]، فالإيمان بالله تعالى وتسبيحه والمداومة على ذكره، وتلاوة آياته، والمحافظة على الصلاة مع الجماعة، تشرح الصدر وتزيل الهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨)﴾ [الرّعد: ٢٨].

والنبي ﷺ أرشدنا إلى ما فيه راحتنا، جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: (يَا بِلالُ، أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ) أخرجه الإمام أحمد في المسند.





لطيفة

قال أبو الحسن السمسمي اللغوي النحوي: حضر مجلسَ أبي عبيدة رجلٌ فقال: رحمك الله أبا عبيدة؛ ما العنجيد؟

قال: رحمك الله ما أعرف هذا!.

قال: سبحان الله! أين يذهب بك عن قول الأعشى:

يومَ تُبدِي لنا قُتَيلَةُ عن جيـ ـدٍ تليـع تـزِينُـه الأطـواقُ

فقال: عافاك الله، (عن): حرف جاء لمعنى، والجيدُ: العنُقُ.

ثم قام آخر في المجلس فقال: أبا عبيدة ـ رحمك الله ـ ما الأودع؟

قال: عافاك الله، ما أعرفه!

قال: سبحان الله! أين أنت عن قول العرب: (زاحِم بعَوْدٍ أو دَعْ).

فقال: ويحك! هاتان كلمتان، والمعنى: أو اترك، أو ذر؛ ثم استغفر الله وجعل يُدَرِّس؛ فقام رجل فقال: ـ رحمك الله ـ أخبرني عن (كوفا)! أمِن المهاجرين أم من الأنصار؟

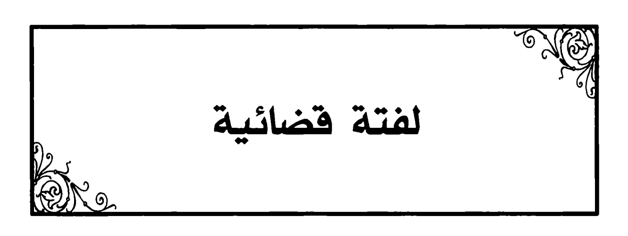
قال: قد رويت أنسابَ الجميع وأسماءَهم، ولست أعرف فيهم كوفا!!

قال: فأين أنت عن قوله تعالى: «وَٱلْهَدْيَ مَعْكُوفًا»؟!.

قال: فأخذ أبو عبيدة نعليه، واشتد ساعياً في مسجد البصرة يصيح بأعلى صوته: مِن أين حشرت البهائمُ عليَّ اليوم؟؟![١].

❁ ❁ ❁

(١) معجم الأدباء ١٨١٧/٤-١٨١٨.



لفتة قضائية

يحكى أنه أثناء الحرب العالمية الثانية، تم تحويل أحد مطارات بريطانيا المدنية إلى مطار حربي نظراً لظروف الحرب، وكان بجوار هذا المطار محكمة مدنية بريطانية؛ ولأنه تم تشغيل هذا المطار حربياً، ولكثرة هبوط وتحليق الطائرات، وما يسببه ذلك من أصوات مزعجة، وهو ما أدى إلى التشويش على أعمال المحكمة؛ لأجل ذلك استصدر القاضي حكماً بنقل المطار الحربي عن مكانه إلى مكان يبعد عن المحكمة مسافة مناسبة، فرفض القائد العسكري، ورفع الأمر إلى تشرشل (رئيس الوزراء في ذاك الحين) فرد تشرشل على القائد العسكري قائلاً: "من الأفضل أن تخسر بريطانيا الحرب على أن يقال أنها لا تنفذ أحكام القضاء".

وبناءً عليه تم إرجاع المطار إلى وضعه السابق ونقل المطار الحربي إلى مكان آخر.





مقصود لم يُفهم ومفهوم لم يُقصد

من الكلمات الجميلة التي انتشرت انتشاراً واسعاً عبر وسائل التواصل الاجتماعي، أن معظم مشاكلنا مع أحبابنا تقع لسببين:

السبب الأول: مقصود لم يُفهم ..!

السبب الثاني: مفهوم لم يُقصد ..!

والحل بخطوتين:

الخطوة الأولى: استفسر عن قصد المتكلم.

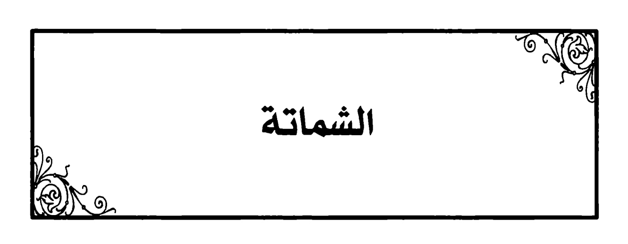
الخطوة الثانية: أحسن الظن به.

وقد ذكر الله هذا الحل في سورة الحجرات:

- الاستفسار عن قصد المتكلم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحُجرَات: ٦]

- وإحسان الظن به في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحُجرَات: ١٢].

وخلاصة ذلك: إذا خانني التعبير، فلا يخونك التفسير.



الشماتة

الشماتة خلق رذيل، تعوذ منه النبي ﷺ، في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْقَضَاءِ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ)[1].

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (البلاء موكل بالقول)[2]، وعنه رضي الله عنه قال: (لَوْ سَخِرْتُ مِنْ كَلْبٍ، لَخَشِيتُ أَنْ أَكُونَ كَلْباً)[3].

وعن عمرو بن شرحبيل رضي الله عنه قال: (لَوْ عَيَّرْتُ رَجُلًا بِرَضَاعِ الْغَنَمِ؛ لَخَشِيتُ أَنْ أَرْضَعَهَا)[4].

وعن ابن سِيرِينَ رحمه الله قال: (عَيَّرْتُ رَجُلاً بِالْإِفْلَاسِ فَأَفْلَسْتُ)[5].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب التعوذ من جهد ا لبلاء، برقم: ٥٩٨٧، وأخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من سوء القضاء، برقم: ٢٧٠٧.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٥/٢٣١، وابن أبي الجعد في مسنده برقم: ١٩٦٣، من طريقين عن ابن مسعود، وصححه الشيخ الألباني في موسوعة الأحاديث الضعيفة ٧/٣٩٥.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٥/٢٣١، وهناد في الزهد ٢/٥٧٠.

(٤) رواه الدينوري في المجالسة ٣/٢٤٣.

(٥) الآداب الشرعية لابن مفلح ١/٣٢٢.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (من ضَحَكَ من النَّاس ضُحِكَ مِنْهُ، وَمن عير أَخَاهُ بِعَمَل ابْتُلِيَ بِهِ؛ وَلَا بُد)[1].

فيخشى على من عير أحداً بذنب أو بلاء أن يبتلى بما عيَّره به.

لا تراقب الناس، ولا تتبع عثراتهم، ولا تكشف سترهم، ولا تتجسس عليهم، أشتغل فقط بنفسك، وأصلح عيوبك، فسوف تسأل فقط عن نفسك لا عن غيرك، فالله أرحم بخلقه منك ومن أنفسهم.



فائدة

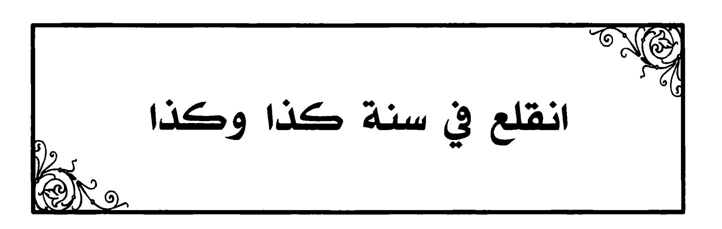
قال بلال بن سعد رَحِمَهُ اللَّهُ:

(إذا رأيت الرجل لجوجاً، ممارياً، يُعجب برأيه، فقد تمّت خسارته)[2].



(١) الفروسية لابن القيم ص: ٤٤٦.

(٢) نقله عنه ابن عبدالبر في بهجة المَجالس وأُنس المُجالس ٤٤١/١، وكذا ابن حبان في روضة العقلاء ص:٧٩، ونقل هذه المقولة ابن العديم كمال الدين عمر بن أحمد بن ابي جرادة في بغية الطلب في تاريخ حلب ٣١٨٩/٧ بسنده عن خالد بن يزيد بن معاوية، ونقلها أيضاً الذهبي في تاريخ الإسلام ١٧٢/٨، وفي سير أعلام النبلاء ٢٢٩/٥ عن ابن أبي لبابة.



انقلع في سنة كذا وكذا

من تعبيرات الذهبي الطريفة في سير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام قوله عن وفاة بعض الزنادقة وأهل الضلالة: انقلع سنة كذا!

قال رَحِمَهُ اللهُ في ترجمة حنين بن إسحاق: (أبو زيد العبادي النصراني الشقي، شيخ الطب بالعراق في زمانه، كان بصيراً باللغة اليونانية فعرب كتباً عديدة في الطبيعي والرياضي، وكان المأمون ذا غرام بتعريبها ومعرفتها، ولحنين مصنفات مشهورة في الطب والمسائل وغيرها، وكان ذا ثروة ورفاهية وتنعم، وله أموال وغِلمان، طبَّ غير واحد من الخلفاء، وانقلع في سنة ستين ومائتين)[(١)].

وقال رَحِمَهُ اللهُ في ترجمة أبي الهذيل العلاف محمد بن الهذيل البصري: (وَرَأْسُ المُعْتَزِلَةِ؛ أَبُو الهُذَيْلِ مُحَمَّدُ بْنُ الهُذَيْلِ البَصْرِيُّ، العَلَّافُ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، الَّذِي زَعَمَ أَنَّ نَعِيْمَ الجَنَّةِ وَعَذَابَ النَّارِ يَنْتَهِي، بِحَيْثُ إِنَّ حَرَكَاتِ أَهْلِ الجَنَّةِ تَسْكُنُ، حَتَّى لَا يَنْطِقُوْنَ

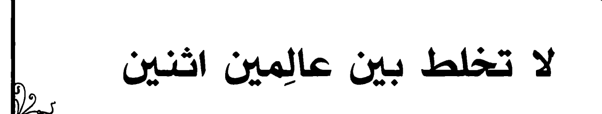
(١) تاريخ الإسلام للذهبي ١٢٨/١٩.

بِكَلِمَةٍ، وَأَنْكَرَ الصِّفَاتِ المُقَدَّسَةَ حَتَّى العِلْمَ وَالقُدرَةَ، وَلَمْ يَكُنْ أَبُو الهُذَيْلِ بِالتَّقِيِّ، حَتَّى لَنُقِلَ أَنَّهُ سَكِرَ مَرَّةً عِنْدَ صَدِيْقِهِ، فَرَاوَدَ غُلَاماً لَهُ، فَرَمَاهُ بِتَوْرٍ، فَدَخَلَ فِي رَقَبَتِهِ، وَصَارَ كَالطَّوْقِ، فَاحْتَاجَ إِلَى حَدَّادٍ يَفُكُّهُ، وَطَالَ عُمُرُ أَبِي الهُذَيْلِ، وَجَاوَزَ التِّسْعِيْنَ، وَانْقَلَعَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِيْنَ وَمائَتَيْنِ)[١].

وقال رَحِمَهُ اللهُ في ترجمة الآمر بأحكام الله منصور بن المستعلي صاحب مصر: (أَبُو عَلِيٍّ مَنْصُوْرُ بْنُ المُسْتَعْلِي أَحْمَدَ بْنِ المُسْتَنْصِر مَعَدِّ بْنِ الظَّاهِر بن الحَاكِم، العُبَيْديُّ المِصْرِيُّ الرَّافضيُّ الظَّلُومُ، كَانَ متظَاهِراً بِالمَكْر وَاللَّهو وَالجبروتِ، وَكَانَ الآمِر رَبْعَةً، شَدِيدَ الأُدْمَةِ، جَاحظَ العين، وَكَانَ حَسَنَ الحظ، جَيِّد العقل وَالمَعْرِفَة لَكِنَّه خَبِيْثُ المعتَقَد، سفَّاكاً لِلدِّمَاءِ، متمرّداً جَبَّاراً فَاحشاً فَاسقاً، صَادر الخلقَ، عَاشَ خمساً وَثَلَاثِيْنَ سَنَةً، وَانقَلَعَ فِي ذِي القَعْدَة سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِيْنَ وَخَمْس مائَة)[٢].

❁ ❁ ❁

(١) سير أعلام النبلاء ٥٤٣/١٠.
(٢) سير أعلام النبلاء ١٩٨/١٥-١٩٩.



لا تخلط بين عالِمين اثنين

١ ـ لا تخلط بين القرطبي صاحب التفسير، والقرطبي صاحب شرح صحيح مسلم؛ فالأول يكنى أبو عبدالله، والثاني يكنى أبو العباس.

٢ ـ لا تخلط بين ابن رشد صاحب المقدمات، والبيان والتحصيل، وبين ابن رشد صاحب بداية المجتهد ونهاية المقتصد؛ فالأول ابن رشد الجد، والثاني ابن رشد الحفيد.

٣ ـ لا تخلط بين الزرقاني الأب، ومن أشهر مؤلفاته: شرح مختصر خليل، والزرقاني الابن ومن أشهر مؤلفاته: شرح الموطأ.

٤ ـ لا تخلط بين القرافي صاحب كتاب الذخيرة، وكتاب الفروق، والقرافي صاحب شرح موطأ مالك، ومختصر خليل، فالأول اسمه أحمد بن ادريس، والثاني اسمه محمد بن يحيى.

٥ ـ لا تخلط بين ابن عرفة صاحب كتاب الحدود، وبين ابن عرفة صاحب الحاشية المشهورة على الشرح الكبير للدردير؛ فالأول تونسي، والثاني دسوقي.

٦ ـ لا تخلط بين المازري صاحب شرح التلقين، وإيضاح المحصول، والمازري صاحب التعليق الكبير في المذهب المالكي.

٧ ـ لا تخلط بين الزركشي شارح مختصر الخرقي، والزركشي صاحب البرهان في علوم القرآن؛ فالأول حنبلي والثاني شافعي.

٨ ـ لا تخلط بين ابن تيمية الجد صاحب المحرر، وابن تيمية الحفيد شيخ الإسلام.

٩ ـ لا تخلط بين ابن عبدالهادي صاحب المحرر في الحديث، وابن عبدالهادي صاحب مغني ذوي الأفهام؛ فالأول في القرن الثامن والآخر في القرن العاشر وكلاهما حنبلي.

١٠ ـ لا تخلط بين أبي الحسن علي بن محمد بن عبدالحق الزرويلي وشهرته الصُّغيِّر، المتوفى سنة ٧١٩هـ صاحب كتاب التقييد على المدونة، وأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن خلف المنوفي المصري، المتوفى سنة ٩٣٩هـ، ومن أشهر مؤلفاته: كفاية الطالب الرباني شرح رسالة أبي زيد القيرواني.

١١ ـ لا تخلط بين أربعة من علماء المالكية يحملون نفس النسبة لقرية (لقانة) من قرى مصر، وهم:

برهان الدين إبراهيم بن محمد اللقاني قاضي القضاة، المتوفى سنة ٨٩٦هـ، وتلميذه: شمس الدين محمد بن حسن اللقاني، له حاشية على خليل، المتوفى سنة ٩٣٥هـ، وبين:

ناصر الدين اللقاني، واسمه محمد بن الحسن، صاحب التصانيف، له شرح على مختصر خليل، وهو صاحب المقولة المشهورة: (نحن خليليون إن ضل خليل ضللنا)، المتوفى سنة ٩٥٨هـ، وهو أخو شمس الدين.

أما الرابع فمتأخر عنهم وهو أبو الأمداد برهان الدين إبراهيم بن حسن اللقاني، له حاشية على خليل، وله نظم جوهرة التوحيد المتوفى سنة ١٠٤١هـ.

١٢ ـ لا تخلط بين الشاطبي صاحب كتاب الموافقات، وكتاب الاعتصام، والشاطبي مصنف الشاطبية في القراءات، واسمه القاسم بين فِيرُّه بن خلف.

١٣ ـ لا تخلط بين ابن العربي المعافري المالكي صاحب العارضة، والعواصم، وأحكام القرآن، وابن عربي المتصوف صاحب الفصوص، والفتوحات، وكلاهما اسمه محمد.

١٤ ـ لا تخلط بين ابن حجر العسقلاني المحدث صاحب الفتح، وابن حجر الهيتمي شارح المشكاة، وكلاهما اسمه أحمد.

١٥ ـ لا تخلط بين أبو حامد الغزالي المشهور بحجة الإسلام، والغزالي الكاتب المعاصر، وكلاهما اسمه محمد.

١٦ ـ لا تخلط بين نافع مولى ابن عمر، وبين نافع القارئ عن ورش، وكلاهما مدني.

١٧ ـ لا تخلط بين الجويني الأب ـ التائب من الخوض في الكلاميات ـ، وابنه إمام الحرمين أبو المعالي صاحب البرهان والورقات.

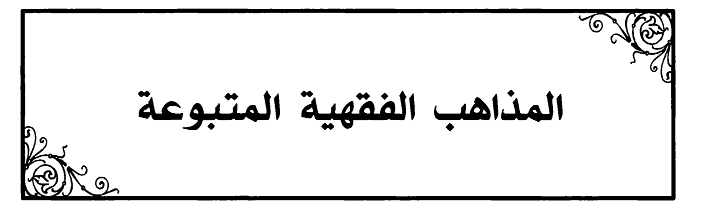
١٨ -لا تخلط بين ابن كثير المقرئ، وابن كثير المفسر.

١٩ -لا تخلط بين الرازي الفيلسوف الطبيب صاحب الحاوي والشكوك، والرازي الأصولي المفسر المتكلم.

٢٠ -لا تخلط بين الترمذي المحدث الحافظ صاحب السنن، والترمذي الحكيم صاحب النوادر.

قلت: تتبع مثل هذا من أنفس العلوم واحسنها لطالب العلم.





المذاهب الفقهية المتبوعة

قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ في المذاهب الفقهية الأربعة:

الحنفية

الفقهاء الحنفية أولو التدقيق والرأي، والذكاء والخير، من مثلهم إن سلموا من التَحَيُّلِ والحِيَل على الربا، وإبطال الزكاة، ونقر الصلاة، والعمل بالمسائل التي يسمعون النصوص النبوية بخلافها[1].

المالكية

الفقهاء المالكية على خير واتباع وفضل، إن سلم قضاتهم ومفتوهم من التسرع في الدماء والتكفير، فإن الحاكم والمفتي يتعين عليه أن يراقب الله تعالى ويتأنى في الحكم بالتقليد، ولا سيما في إراقة الدماء، فالله ما أوجب عليهم تقليد إمامهم، فلهم

---

(١) زغل العلم للذهبي ص: ٣٤.

أن يأخذوا منه ويتركوا، كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: (كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر ﷺ)[١].

الشافعية

الفقهاء الشافعية أكيس الناس، وأعلم من غيرهم بالدين، فأسُّ مذهبهم مبني على اتباع الأحاديث المتصلة، وإمامهم من رؤوس أصحاب الحديث ومناقبه جمة، فإن حصَّلت يا فلان مذهبه لتدين الله به وتدفع عن نفسك الجهل، فأنت بخير، وإن كانت همتك كهمة إخوانك من الفقهاء البطالين، الذين قصدهم المناصب والمدارس والدنيا والرفاهية والثياب الفاخرة، فماذا بركة العلم، ولا هذه نية خالصة، بل ذا بيع للعلم بحسن عبارة، وتعجل للأجر، وتحمل للوزر، وغفلة عن الله[٢].

الحنابلة

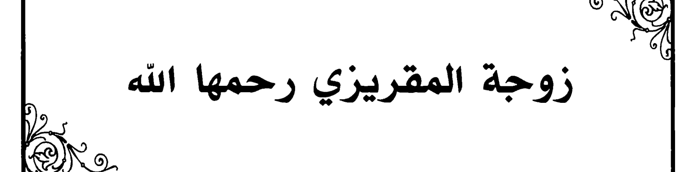
وأما الحنابلة فعندهم علوم نافعة، وفيهم دين في الجملة، ولهم قلة حظ في الدنيا، والجهال يتكلمون في عقيدتهم، ويرمونهم بالتجسيم وبأنه يلزمهم، وهم بريؤون من ذلك، إلا النادر، والله يغفر لهم[٣].

---

(١) زغل العلم للذهبي ص: ٣٣.
(٢) زغل العلم للذهبي ص: ٣٦.
(٣) زغل العلم للذهبي ص: ٣٩.

قلت: وقد أنعم الله تعالى على مذهب السادة الحنابلة في العصور المتأخرة؛ بأن قيَّض الله لهم هذه الدولة المباركة، المملكة العربية السعودية، التي نصرت هذا المذهب، ورفت لواءه، واعتمدته في القضاء والفتوى، وقامت بتدريسه وطبع كتبه، وما أجمَل قول الإمام ابن بدران رَحِمَهُ اللهُ في المدخل حيث قال: (وأصاب هذا المذهب ـ يعني مذهب الحنابلة ـ ما أصاب غيره من تشتت كتبه، حتى آلت إلى الاندراس، وأكب الناس على الدنيا، فنظروا إليه فإذا هو منهل سنة وفقه صحيح لا مورد مال، فهجره كثيرٌ ممن كان متبعاً له، رجاء طلب قضاءٍ أو وظيفةٍ، فمن ثم تقلص ظله من بلادنا السورية، وخصوصاً في دمشق إلا قليلاً، وأشرق نوره في البلاد النجدية من جزيرة العرب، وهب قومٌ كرامٌ منهم لطبع كتبه، وأنفقوا الأموال الطائلة لإحياء هذا المذهب، لا يطلبون بذلك إلا وجه الله تعالى، ولا يقصدون إلا إحياء مذهب السلف وما كان عليه الصحابة والتابعون، فجزاهم الله خيراً وأحسن إليهم، على أن قوماً من أولي التقليد الأعمى، أسراء الوهم والخيالات الفاسدة والجهل المركب، يطعنون في أولئك، وينفرون الناس منهم، وما ذلك إلا أن الله أراد بأولئك القوم خيراً فاظهر لهم أعداءً لينشروا فضلهم من حيث لا يعلمون: ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٢٧])[1].

❀ ❀ ❀



زوجة المقريزي رحمها الله

ترجم الحافظ المؤرخ المقريزي ﵀ لزوجته التي توفيت وهي فتاة شابة، ثم حكى رؤيا مؤثرة رآها في المنام، قال ﵀:

سفرى ابنة عمر بن عبدالعزيز بن عبدالصمد البغدادي، ولدت بالقاهرة سنة ٧٧٠هـ، وعقدت نكاحها يوم الخميس خامس عِشْري شوال سنة ٧٨٢هـ، وولد لي منها ابني أبو المحاسن محمد في يوم الأحد تاسع شهر ربيع الأول سنة ٧٨٦هـ، ثم ولد لي منها ابني أبو هاشم علي في يوم الأحد رابع عِشري ذي الحجة سنة ٧٨٩هـ، فلما كان في شهر ربيع الأول سنة ٧٩٠هـ مَرِضت، فبِتُّ مُنَكَّد الخاطر، فرأيت شخصاً ينشدني:

فالعينُ بعدهم كأنَّ حداقها سُلِمت بشواك فهي عُورٌ تدمعُ

فاستيقظت وقد غلب على ظني أنها تموت من مرضها، فكان كذلك، وماتت عشية الأربعاء سادس عشري ربيع الآخر من السنة المذكورة رحمها الله تعالى.

واتفق أني كنت أكثر من الاستغفار لها بعد موتها، فأُرِيتها في بعض الليالي، وقد دخلتْ علي بهيئتها التي كفنتها بها، فقلت

لها وأنا أعرف أنها ميتة: يا أم محمد الذي أُرْسِلُهُ إليكِ يصل؟ ـ أعني: استغفاري لها ـ.

قالت: نعم يا سيدي، في كل يوم تصل هديتك إليَّ.

ثم بكت وقالت: قد علمتَ يا سيدي أني عاجزة عن مكافأتك.

فقلت لها: لا عليكِ، عما قليل نلتقي.

وكانت غفر الله لها مع صغر سنها من خير نساء زمانها، عِفَّةً وصيانةً وديانةً وثقةً وأمانةً ورزانةً، ما عُوضت بعدها مثلها.

أبكى فراقُهم عيني فأرّقها ... إن التفرق للأحباب بكّاءُ

ما زال يعدو عليهم صرف دهرهم ... حتى تفانوا وصرْف الدهر عدّاءُ

جمعنا الله بها في جنته، وعمَّنا بعفوه ومغفرته[(١)].

من تأمل التواريخ التي ذكرها المقريزي الحافظ المؤرخ يلاحظ التالي:

توفيت وعمرها ٢٠ سنة، أنجبت ابنها الأول وعمرها ١٦ سنة، والثاني ١٩ سنة، ولكنها على صغر سنها ملكت قلب زوجها في حياتها وبعد مماتها، فخلد الله ذكرها ببرها لزوجها، وترحم عليها كل من قرأ ترجمتها، رحمها الله.

وهكذا حسن الخلق والعشرة تدوم مودته في الحياة وبعد الممات.

---

(١) درر العقود الفريدة للمقريزي ٢/٩٨-٩٩.

فقيهة الحنابلة فاطمة بنت عيَّاش

فاطمة بنت عيَّاش تلك التي كان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتهيأ لها ويستعد؛ لقوة علمها، ورجاحة عقلها، إذ كانت تستحضر أكثر المغني.

وكانت مع ذلك تفعل ما يعجز عنه الرجال، استمتع ـ أخي القارئ الكريم ـ بشيء من سيرتها، حتى تعرف فضلها وكيف استطاعت أن تضع بصمتها، ففاح عبيرها حتى سطر التاريخ لنا مآثرها وأخبارها.

هي: فاطمة بنت عيَّاش بن أبي الفتح البغدادية الحنبلية توفيت سنة ٧١٤هـ

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمتها: (وَفِي يَوْمِ عَرَفَةَ تُوُفِّيَتِ الشَّيْخَةُ الصَّالِحَةُ الْعَابِدَةُ النَّاسِكَةُ أُمُّ زَيْنَبَ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبَّاسِ بْنِ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَغْدَادِيَّةُ، بِظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ، وَشَهِدَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَكَانَتْ مِنَ الْعَالِمَاتِ الْفَاضِلَاتِ، تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَقُومُ عَلَى الْأَحْمَدِيَّةِ فِي مُؤَاخَاتِهِمُ النِّسَاءَ وَالْمُرْدَانَ، وَتُنْكِرُ أَحْوَالَهُمْ وَأَحْوَالَ أَهْلِ الْبِدَعِ وَغَيْرِهِمْ، وَتَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ

مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الرِّجَالُ، وَقَدْ كَانَتْ تَحْضُرُ مَجْلِسَ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ، فَاسْتَفَادَتْ مِنْهُ ذَلِكَ وَغَيْرَهُ، وَقَدْ سَمِعْتُ الشَّيْخَ تَقِيَّ الدِّينِ رَحِمَهُ اللهُ يُثْنِي عَلَيْهَا، وَيَصِفُهَا بِالْفَضِيلَةِ وَالْعِلْمِ، وَيَذْكُرُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَسْتَحْضِرُ كَثِيراً مِنَ الْمُغْنِي أَوْ أَكْثَرَهُ، وَأَنَّهُ كَانَ يَسْتَعِدُّ لَهَا مِنْ كَثْرَةِ مَسَائِلِهَا، وَحُسْنِ سُؤَالَاتِهَا، وَسُرْعَةِ فَهْمِهَا، وَهِيَ الَّتِي خَتَّمَتْ نِسَاءً كَثِيراً الْقُرْآنَ، مِنْهُنَّ أُمُّ زَوْجَتِي عَائِشَةُ بِنْتُ صِدِّيقٍ، زَوْجَةُ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ الْمِزِّيِّ، وَهِيَ الَّتِي أَقْرَأَتِ ابْنَتَهَا زَوْجَتِي أَمَةَ الرَّحِيمِ زَيْنَبَ، رَحِمَهُنَّ اللهُ، وَأَكْرَمَهُنَّ بِرَحْمَتِهِ وَجَنَّتِهِ، آمِينَ)[١].

قال الصفدي رَحِمَهُ اللهُ: (الشَّيْخَةُ الْمُفْتِيَةُ الْعَالِمَةُ الزَّاهِدَةُ الْعَابِدَةُ أَمْ زَيْنَب الْبَغْدَادِيَّةِ الْحَنْبَلِيَّةِ الْوَاعِظَةِ، كَانَتْ تَصْعَدُ الْمِنْبَرُ وَتَعِظُ النِّسَاءَ، فَيُنِبْنَ لِوَعَظِهَا، وَيُقْلِعُ مَنْ أَسَاءَ، وَانْتَفَعَ بِوَعْظِهَا جَمَاعَةٌ مِنْ النِّسْوَةُ، وَرَقَّتْ قُلُوبُهُنَّ لِلطَّاعَةِ بَعْدَ الْقَسْوَةِ، كَمْ أَذَرَّتْ عَبرَاتْ، وَأَجْرَتْ عُيُونَاً مِنْ الْحَسَرَاتِ كَأَنَّهَا (وَرْقَاء) أَيْكَةٌ عَلَى فَنَنِهَا، وَحَمَامَةَ تَصْدَحُ فِي أَعْلَى غُصْنِهَا.

وَكَانَتْ تَعْرِفُ الْفِقْهَ وَغَوَامِضِهِ الدَّقِيقَةِ، وَمَسَائِلِهِ الْعَوِيصَةِ الَّتِي تَدُورُ مَبَاحِثُهَا بَيْنَ الْمَجَازِ وَالْحَقِيقَةِ، وَكَانَ اِبْنُ تِيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ يَتَعَجَّبُ مِنْ عَمَلِهَا، وَيُثْنِي عَلَى ذَكَائِهَا وَخُشُوعِهَا وَبُكَائِهَا.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٨/١٤٠.

وَبَحَثَتْ مَعَ الشَّيْخ صَدْرَ الدِّينُ بْنَ الْوَكِيلِ فِي الحَيْضِ وَزَخِرَتْ بَحْرُ عُلُومِهَا وَمَاجَتْ وَرَاجَتْ عَلَيهِ، ثُمَّ قَالَتْ: أَنْتَ تَدْرِي هَذَا عِلْماً، وَأَنَا أَدْرِيهِ عِلْمَاً وَعَمَلاً.

وَحَكَى لِي غَيرُ وَاحِدٍ أَنَّ الشَّيْخَ تَقِي الدِّينِ بْنَ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَال: بَقِيَ فِي نَفْسِي مِنهَا شَيْءٌ، لِأَنّهَا تَصْعَدْ الْمِنْبَرُ، وَأَرَدْتُ أَنْ أَنْهَاهَا، فَنِمْتُ لَيْلَةً، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ، فَسَأَلْتُهُ عَنهَا. فَقَالَ: اِمْرَأَةٌ صَالِحَةُ)[١].

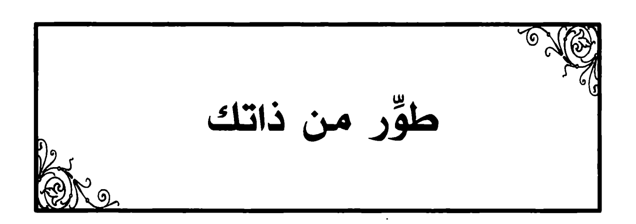
وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَاطِمَةُ بِنَتُ عَيّاشٍ بْنَ أَبِي الْفَتْحِ الْبَغْدَادِيَّةُ أَمُ زَيْنَب الْوَاعِظَةُ، كَانَتْ تَدْرِي الْفِقْهَ جَيداً، وَكَانَ اِبْنُ تَيمِيَّةَ يُثْنِّي عَلَيهَا وَيَتَعَجَّبُ مِنْ حِرْصِهَا وَذَكَائِهَا وَانْتَفَعَ بِهَا نِسَاءُ أَهلِ دِمَشْقَ لِصِدْقِهَا فِي وَعْظِهَا وَقَنَاعَتِهَا، ثُمَّ تَحَوَّلَتْ إِلَى الْقَاهِرَةِ فَحَصَلِ بِهَا النَّفْعَ وَارْتَفَعَ قَدْرُهَا وَبَعُدَ صِيتُهَا، وَكَانَتْ قَدْ تَفَقَّهَتْ عِنْدَ المَقَادِسَةِ بِالشَّيْخ اِبْنُ أَبي عُمَر وَغَيْرُهُ، وَقَلَّ مَنْ أَنْجَبَ مِنَ النِّسَاءِ مِثْلُهَا، مَاتَتْ لَيْلَةَ عَرَفَة سَنَةَ ٧١٤هـ رحمها الله)[٢].

هذه وأمثالها من الصّالحات هنَّ القدوات أيّتها الأمَّهات والبنات والأخوات الكريمات، فربِّين أنفسكنَّ وربِّين الأجيال على العلم النافع والعمل الصالح الذي ينفعكنَّ وينفع الأمَّة.

---

(١) أعيان العصر للصفدي ٢/١٧٠.

(٢) الدرر الكامنة ٤/٢٦٥، وانظر أيضاً في ترجمتها: الإعلام بوفيات الأعلام ص: ٣٠١، ومرآة الجنان ٤/٢٥٤، وحسن المحاضرة ١/٣٣٦، وشذرات الذهب ٨/٦٣.



طوِّر من ذاتك

- أمور كثيرة تشغل الناس في حياتهم، إلا أن هناك أمران مهمان طالما أشغلنا التفكير بهما: الانشغال بالماضي، والانشغال بالآخرين!

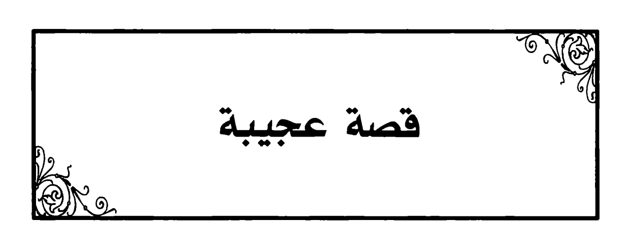
فالماضي لا يمكن إرجاعه وإصلاحه، وإنما نأخذ منه الدروس والعبر، والآخرون حسابهم على الله.

- لا يوجد إنسان تعيس وَلكن توجد أفكار تسبب التعاسة، ولا توجد أفكار متفائلة، لكن يوجد أشخاص متفائلون، فأنت من يصنع التعاسة أو التفاؤل لنفسك!

- النكسات والإخفاقات هي من تصنع النجاح!

لا تقل أبداً إنك لا تملك الوقت الكافي، فإن جميع العظماء في التاريخ كان يومهم مثل يومنا ٢٤ ساعة ولم يزد ثانية واحدة.

- مزاجُك أغلى ما تملك، فاجعله مرتفعاً لتقرأ، لتكتب، لتعمل، لتتفاعل بإيجابية، لهذا لا تعطي أي مخلوق فرصة لتعكيره.



قصة عجيبة

ذكر ابن رجب الحنبلي رحمه الله في ذيل طبقات الحنابلة[1]: أنبئت عن يوسف بن خليل الحافظ قال: أخبرنا الشيخ الصالح أبو القاسم عبدالله بن أبي الفوارس محمد بن علي بن حسن الخزاز الصوفي البغدادي ببغداد، قال: سمعتُ القاضي أبا بكر محمد بن عبدالباقي بن محمد البزاز الأنصاري رحمه الله يقول:

(كنتُ مجاورًا بمكة ـ حرسها الله تعالى ـ فأصابني يومًا من الأيام جوع شديد لم أجد شيئًا أدفع به عني الجوع، فوجدتُ كيساً من إبريسم مشدوداً بشرابة من إبريسم أيضًا فأَخذته وجئت به إلى بيتي، فحللته فوجدتُ فيه عقدًا من لؤلؤ لم أرَ مثله، فخرجتُ فإذا الشيخ ينادي عليه، ومعَه خرقة فيها خمسمائة دينار وهو يقول: هذا لمن يَرد علينا الكيس الذي فيه اللؤلؤ، فقلت: أنا محتاج، وأنا جائع، فآخذ هذا الذهب فأنتفع به، وأرد عليه الكيس، فقُلت له: تعالى إليّ، فأخذته وجئت به إلى بيتي، فأعطاني علامة الكيس، وعلامة الشرابة، وعلامة اللؤلؤ وعَدَدَه، والخيط الذي هو مَشدُود به، فأخرجته ودَفعته إليه. فسلم إليّ

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ١/١٧٧.

خمسمائة دينار، فما أخذتها، وقلت: يجب عليّ أن أعيده إليك ولا آخذ له جزاء، فقال لي: لا بد أن تأخذ. ألح عليَّ كثيرًا، فلم أقبل ذلك منه، فتركني ومضى.

وأما ما كان مني: فإني خرجتُ من مكة وركبتُ البحر، فانكسر المركب وغرق الناس، وهلكت أموالهم، وسلمتُ أنا على قطعة من المركب، فبقيت مُدّةً في البحر لا أدري أين أذهب، فوصَلت إلى جزيرة فيها قوم، فقعَدتُ في بعض المساجد، فسمعوني أقرأ، فلم يبق في تلك الجزيرة أحد إلا جاء إليّ وقال: علمني القرآن. فحصل لي من أولئك القوم شيء كثير من المال.

قال. ثم إني رأيتُ في ذلك المسجد أوراقًا من مصحف، فأخذتها أقرأ فيها فقالوا لي: تحسن تكتب؟ فقلت: نعم، فقالوا: علمنا الخط، فجاؤوا بأولادهم من الصبيان والشباب، فكنتُ أعلمهم، فحصل لي أيضًا من ذلك شيء كثير فقالوا لي بعد ذلك: عندنا صبيَّةً يتيمة، ولها شيء من الدُنيا نريد أن تتزوج بها، فامتنعتُ، فقالوا: لا بل، وألزموني، فأجبتهم إلى ذلك.

فلما زفُّوها إليَّ مددتُ عيني أنظر إليها، فوجدت ذلك العقد بعينه معلقًا في عنقها، فما كان لي حينئذ شغل إلا النظر إليه. فقالوا: يا شيخ، كسرتَ قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد، ولم تنظر إليها، فقصصتُ عليهم قصة العقد فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير، حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة، فقلتُ: ما بكم.

فقالوا: ذلك الشيخ الذي أخذ منك العقد أبو هذه الصبية، وكان يقول: ما وجدتُ في الدنيا مسلمًا إلا هذا الذي رد عليَّ هذا العقد، وكان يدعو ويقول: اللهم اجمع بيني وبينه حتى أزوجه بابنتي، والآن قد حصلت، فبقيتُ معها مدة ورزقتُ منها بولدين.

ثم إنها ماتت فورثت العقد أنا وولداي، ثم مات الولدان فحصل العقد لي فبعته بمائة ألف دينار. وهذا المال الذي ترون معي من بقايا ذلك المال).

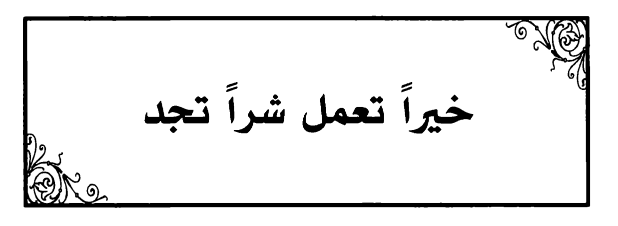
قال ابن رجب: (هكذا ساق هذه الحكاية يوسف بن خليل الحافظ في معجمه، وساقها ابن النجار في تاريخه، وقال: هي حكاية عجيبة، وأظن القاضي حكاها عن غيره.

وقد ذكرها أبو المظفر سبط بن الجوزي في تاريخه في ترجمة أبي الوفاء بن عقيل، وذكر عن ابن عقيل: أنه حكى عن نفسه: أنه حج، فالتقط العقد ورده بالموسم، ولم يأخذ ما بذل له من الدنانير، ثم قدم الشام، وزار بيت المقدس، ثم رجع إلى دمشق، واجتاز بحلب في رجوعه إلى بغداد، وأنَّ تزوجه بالبنت كان بحلب. ولكن أبا المظفر ليس بحجة فيما ينقله، ولم يذكر للحكاية إسنادًا متصلاً إلى ابن عقيل، ولا عزاها إلى كتاب معروف، ولا يعلم قدوم ابن عقيل إلى الشام، فنِسبتُها إلى القاضي أبي بكر الأنصاري أنسب). والله أعلم.

ثم علَّق ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ على هذه القصة فقال: (وقد تضمنت هذه القصة: أنه لا يجوز قبول الهدية على رد الأمانات

لأنه يجب عليه ردها بغير عوض، وهذا إذا كان لم يلتقطها بنِيَّة أخذ الجُعْل المشروط وقد نص أحمد رضي الله عنه على مثل ذلك في الوديعة، وأَنه لا يجوز لمن ردها إلى صاحبها قبولُ هديته إلا بنية المكافأة).





خيراً تعمل شراً تجد

حكى الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في تاريخ الإسلام عن حسين الجعفي قال:

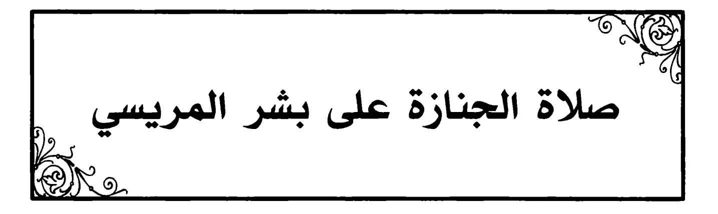
قدم الحسن بن الحر وعبدة بن أبي لبابة وكانا شريكين بأربعين ألفاً تجارة، فوافيا مكة وبأهلها فاقة وحاجة، فقال الحسن لعبدة: هل لك أن نقرض ربنا عشرة آلاف قال: نعم، فأدخلوا مساكين أهل مكة داراً وبقوا يخرجون واحداً واحداً ثم يعطونه، فقسموا العشرة الآلاف، وفضل خلق. فقال: هل لك أن نقرض ربنا عشرة آلاف أخرى قال: نعم، فقسموا فلم يزالا إلى أن قسما المال كله وتعلق بهما المساكين، وقالوا: لصوصٌ بعث معهم أمير المؤمنين بمال فخانوا.

قال: فاستقرضوا عشرة آلاف حتى أرضوا بها من بقي، وطلبهم السلطان فاختفوا، حتى ذهب أشراف مكة فأخبروا الوالي عنهما بفضل وصلاح.

قال: فخرجوا من مكة بالليل ورجعوا إلى الشام(١).

---

(١) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ١٧٢/٨.



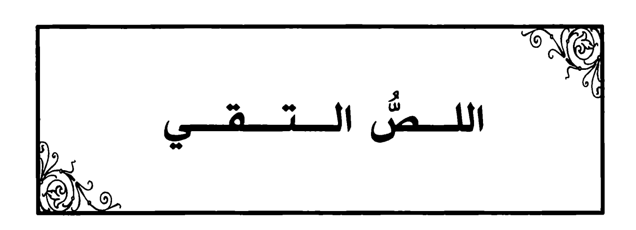
صلاة الجنازة على بشر المريسي

لما مات بشر المريسي لم يشهد جنازته من أهل العلم والسنة أحد، إلا عُبيد الشونيري، فلما رجع من جنازته أقبل عليه أهل السنة والجماعة، وقالوا: يا عدو الله تنتحل السنة، وتشهد جنازة المريسي؟

قال: أنظروني حتى أخبركم، ما شهدت جنازة رجوت بها من الخير ما رجوت في شهود جنازته، لما وضع في موضع الجنائز، قمت في الصف، فقلت: اللهم عبدك هذا كان لا يؤمن برؤيتك في الآخرة، اللهم فاحجبه عن النظر إلى وجهك الكريم يوم ينظر إليك المؤمنون، اللهم عبدك هذا كان ينكر الميزان، اللهم فخفف ميزانه يوم القيامة، اللهم عبدك هذا كان لا يؤمن بعذاب القبر، اللهم فعذبه اليوم في قبره عذاباً لم تعذبه أحد من العالمين، اللهم عبدك هذا كان ينكر الشفاعة، اللهم فلا تشفع فيه أحداً من خلقك يوم القيامة.

فسكتوا عنه، وضحكوا[1].

(١) تاريخ بغداد ٦٦/٧، الطبقات السنة في تراجم الحنفية ٢٣٦/٢.



اللصُّ التقي

قصةٌ من أعجب القصص، حدَّث الشيخ علي الطنطاوي بأن في هذه القصة من الطرافة أكثر من المنفعة منها، وهي واقعة يعرف أشخاصها وظروفها، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هي قصة شاب فيه تقى وفيه غفلة، في آن واحد، طلبَ العلم، حتى أصاب منه حظاً، وذات يوم قال شيخه له ولرفاقه: لا تكونوا عالةً على الناس، فإن العالم الذي يمدُّ يده إلى أبناء الدنيا لا يكون فيه خير، فليذهب كل واحد منكم وليشتغل بالصَّنعة التي كان أبوه يشتغل بها، وليتق الله فيها.

فذهب الشاب إلى أمه فقال لها: ما هي الصَّنعة التي كان أبي يشتغل بها؟

فاضطربت المرأة وقالت: أبوك ذهب إلى رحمة الله، فما لك وللصَّنعة التي كان يشتغل بها؟

اذهب وتعلم أي صنعة ودعك من صنعة أبيك.

فألح عليها وهي تتملَّص منه، حتى إذا اضطرها إلى الكلام أخبرته وهي كارهة أن أباه كان لصاً.

فقال لها: إن الشيخ أمرنا أن يشتغل كلٌّ بصنعة أبيه ويتقي الله فيها.

قالت الأم بحسرة: ويحك! وهل في السرقة تقوى؟ وكان في الولد ـ كما قلت غفلة ـ.

فقال لها: هكذا قال الشيخ!!.

ثم ذهب فسأل وسأل وتابع السؤال، ودرس، وراقب، والتقط الأخبار، حتى عرف الطرق والوسائل التي يسرق بها اللصوص، فأعد عدة السرقة، وصلى العشاء، وانتظر حتى نام الناس، وخرج ليشتغل بصنعة أبيه كما قال الشيخ.

فبدأ بدار جاره، ثم ذكر أن الشيخ قد أوصاه بالتقوى، وليس من التقوى إيذاء الجار، فتخطى هذه الدار.

ومر بأخرى فقال لنفسه: هذه دار أيتام، والله حذَّر من أكل مال اليتيم.

ومازال يمشي حتى وصل إلى دار تاجر غني ليس له إلا بنت واحدة، ويعلم الناس أن عنده الأموال التي تزيد عن حاجته.

فقال: ها هنا، وعالج الباب بالمفاتيح التي أعدها ففتح ودخل، فوجد داراً واسعة وغرفاً كثيرة، فجال فيها حتى اهتدى إلى مكان المال، وفتح الصندوق فوجد من الذهب والفضة والنقد شيئاً كثيراً، فهم بأخذه، ثم قال: لا، لقد أمرنا الشيخ بالتقوى، ولعل هذا التاجر لم يؤد زكاة أمواله، لنخرج الزكاة أولاً.

وأخذ الدفاتر وأشعل فانوساً صغيراً جاء به معه،

وراح يراجع الدفاتر ويحسب ـ وكان ماهراً في الحساب خبيراً بإمساك الدفاتر ـ، فأحصى الأموال وحسب زكاتها فأزاح مقدار الزكاة جانباً، واستغرق في الحساب حتى مضت ساعات، فنظر فإذا هو الفجر، فقال: تقوى الله تقضي بالصلاة أولاً.

فخرج إلى صحن الدار، فتوضَّأ من البركة وأقام الصلاة، فسمع رب البيت، فنظر فرأى عجباً، فانوساً مضيئاً، ورأى صندوق أمواله مفتوحاً ورجلاً يقيم الصلاة.

فقالت له امرأته: ما هذا؟ قال والله لا أدري! ونزل إليه فقال: ويلك من أنت وما هذا؟ قال اللص: الصلاة أولاً ثم الكلام، فتوضأْ ثم تقدمْ فصلِّ بنا، فإن الإمامة لصاحب الدار!! فخاف صاحب الدار أن يكون معه سلاح ففعل ما أمره به، والله أعلم كيف صلى!!

فلما قضيت الصلاة قال له أخبرني من أنت وما شأنك؟ قال: لص. قال: وما تصنع بدفاتري؟ قال: أحسب الزكاة التي لم تخرجها من ست سنين، وقد حسبتها وفرزتها لتضعها في مصاريفها.

فكاد الرجل يُجَنُّ من العجب، وقال له: ويلك، ما خبرك؟ هل أنت مجنون؟ فأخبره خبره كله.

فلما سمعه التاجر ورأى جمال صورته وضبط حسابه، ذهب إلى امرأته فكلمها، ثم رجع إليه فقال له: ما رأيك لو زوجتك ابنتي وجعلتك كاتباً وحاسباً عندي، وأسكنتك أنت وأمك في داري، ثم جعلتك شريكي؟

قال: أقبلُ. وأصبح الصباح فدعي بالمأذون وبالشهود وعقد العقد!

ليت للكثير فقه هذا اللص دون غفلته، فالمشكلة أن للكثيرين الغفلة من غير تقوى.



احفظوا أولادكم من التسلل إلى الخوارج

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: (ثُمَّ خَرَجُوا يَتَسَلَّلُونَ وُحْدَانًا؛ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَحَدٌ بِهِمْ فَيَمْنَعُوهُمْ مِنَ الْخُرُوجِ فَخَرَجُوا مِنْ بَيْنِ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ وَالْأَعْمَامِ وَالْعَمَّاتِ وَفَارَقُوا سَائِرَ الْقَرَابَاتِ، يَعْتَقِدُونَ بِجَهْلِهِمْ وَقِلَّةِ عِلْمِهِمْ وَعَقْلِهِمْ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ يُرْضِي رَبَّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ وَالذُّنُوبِ الْمُوبِقَاتِ، وَالْعَظَائِمِ وَالْخَطِيئَاتِ، وَأَنَّهُ مِمَّا يُزَيِّنُهُ لَهُمْ إِبْلِيسُ وَأَنْفُسُهُمُ الَّتِي هِيَ بِالسُّوءِ أَمَّارَاتٌ.

وَقَدْ تَدَارَكَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ بَعْضَ أَوْلَادِهِمْ وَقَرَابَاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ فَرَدُّوهُمْ وَوَبَّخُوهُمْ، فَمِنْهُمْ مَنِ اسْتَمَرَّ عَلَى الِاسْتِقَامَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَرَّ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَحِقَ بِالْخَوَارِجِ فَخَسِرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)[١].

قال الإمام ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: (اعلموا رحمكم الله أن جميع فِرَق الضَّلالة لم يُجْرِ اللهُ على أيديهم خيراً، ولا فتح بهم من بلاد الكُفر قريةً، ولا رَفَع للإسلام رايةً، وما زالوا يَسْعَون في قَلْبِ

(١) البداية والنهاية ١٠/٥٨١.

نظام المسلمين، ويفرِّقون كلمة المؤمنين، ويسلّون السيف على أهل الدين، ويسعون في الأرض مُفسِدين، أما الخوارج والشيعة فأمْرهم في هذا أشهَر من أنْ يُتَكَلَّفَ ذكرُهُ)[(١)].

قلت: هذا هو والله ما يحصل في زماننا من فتنة هؤلاء الخوارج عليهم من الله ما يستحقون، يفرقون كلمة المسلمين، ويرفعون السيف على المؤمنين، ويسعون في الأرض فساداً، قصدوا بيت الله الحرام للتخريب والقتل والتفجير، وقصدوا مسجد رسول الله ﷺ ففجروا بالقرب منه، روعوا ضيوف الرحمن، فهم عندي كفار ملحدون خارجون عن الإسلام، بنص كلام النبي ﷺ فيما رواه عَلِيٌّ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنْ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) متفق عليه[(٢)].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح[(٣)] جملة من العلماء الذين قالوا بتكفير الخوارج كالبخاري حيث قرنهم بالملحدين، قال الحافظ رحمه الله: (وَبِذَلِكَ صَرَّحَ الْقَاضِي أَبُو بَكْر بْن

---

(١) الفصل في الملل ١٧١/٤.

(٢) أخرجه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٢٤٤/٤، ومسلم في الزكاة برقم: ١٠٦٦.

(٣) فتح الباري ٣١٣/١٢.

الْعَرَبِيّ فِي شَرْح التِّرْمِذِيّ فَقَالَ: الصَّحِيح أَنَّهُمْ كُفَّار لِقَوْلِهِ ﷺ: (يَمْرُقُونَ مِنْ الْإِسْلَام) وَلِقَوْلِهِ: (لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْل عَاد)، وَفِي لَفْظ (ثَمُود)، وَكُلّ مِنْهُمَا إِنَّمَا هَلَكَ بِالْكُفْرِ، وَبِقَوْلِهِ: (هُمْ شَرُّ الْخَلْق) وَلَا يُوصَف بِذَلِكَ إِلَّا الْكُفَّار، وَلِقَوْلِهِ: (إِنَّهُمْ أَبْغَضُ الْخَلْق إِلَى الله تَعَالَى)، وَلِحُكْمِهِمْ عَلَى كُلّ مَنْ خَالَفَ مُعْتَقَدهمْ بِالْكُفْرِ وَالتَّخْلِيد فِي النَّار فَكَانُوا هُمْ أَحَقَّ بِالِاسْمِ مِنْهُمْ).أ.هـ.

وكذلك ممن قال بتكفيرهم الإمام السبكي رحمه الله، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وَمِمَّنْ جَنَحَ إِلَى ذَلِكَ مِنْ أَئِمَّة الْمُتَأَخِّرِينَ الشَّيْخ تَقِيّ الدِّين السُّبْكِيّ، فَقَالَ فِي فَتَاوِيه: اِحْتَجَّ مَنْ كَفَّرَ الْخَوَارِج وَغُلَاة الرَّوَافِض بِتَكْفِيرِهِمْ أَعْلَام الصَّحَابَة لِتَضَمُّنِهِ تَكْذِيب النَّبِيّ ﷺ فِي شَهَادَته لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، قَالَ: وَهُوَ عِنْدِي اِحْتِجَاج صَحِيح. أ.هـ.

وكذا قَالَ الإمام الْقُرْطُبِيّ رحمه الله فِي الـمُفْهِم شرح صحيح مسلم: (وَالْقَوْل بِتَكْفِيرِهِمْ أَظْهَرُ فِي الْحَدِيث)، وقال أيضاً: (فَعَلَى الْقَوْل بِتَكْفِيرِهِمْ يُقَاتِلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَتُسْبَى أَمْوَالُهُمْ وَهُوَ قَوْل طَائِفَة مِنْ أَهْل الْحَدِيث فِي أَمْوَال الْخَوَارِج)[١].

وممن ذهب إلى تكفيرهم أيضاً الحسن بن محمد بن علي، ورواية عن الإمام الشافعي، ورواية عن الإمام مالك، وطائفة من أهل الحديث[٢].

---

(١) المفهم شرح صحيح مسلم للقرطبي ١٣٥/٤.
(٢) الإبانة الصغرى ١٥٢، المغني ٢٣٩/١٢.

ومن ذهب إلى تكفيرهم من المعاصرين سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله حيث قال: (والصحيح والظاهر من الأدلة أنهم بهذا التنطع وبتكفيرهم المسلمين، وتخليدهم في النار أنهم كفارٌ بهذا؛ لأنهم يرون العاصي كافراً ومخلداً في النار، فهذا ضلال بعيد والعياذ بالله، وخروجٌ عن دائرة الإسلام نعوذ بالله. نسأل الله العفو والعافية)(١).

أسأل الله تعالى أن يكفي المسلمين شرهم، وأن يريح البلاد والعباد منهم، فهم وبال على المجتمعات والدول، وأول فتنتهم كانت مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ذكر ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه: (دخل سودان بن حمران بالسيف على عثمان بن عفان في داره فمانعته نائلة بنت الفرافصة زوجة عثمان رضي الله عنهما، فقطع أصابعها فولت فضرب عجيزتها بيده وقال: إنها لكبيرة العجيزة، ثم ضرب عثماناً فقتله، فجاء غلام عثمان فضرب سودان فقتله)(٢).

ومن أخبارهم أيضاً ما ذكره ابن حمدون رحمه الله في التذكرة قال: (كَبِر رجلٌ من الخوارج وهرم حتى لم يكن فيه نهوض، فأخذ منزلا على ظهر الطريق، فلما جاء مطر وابتلت الأرض أخذ زجاجاً وكسره ورماه في الطريق فإذا مر به رجل وعقر رجله الزجاج، قال الخارجي من وراء الباب: لا حكم إلا لله، اللهم هذا مجهودي.

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (فتوى صوتية) من موقع سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله.

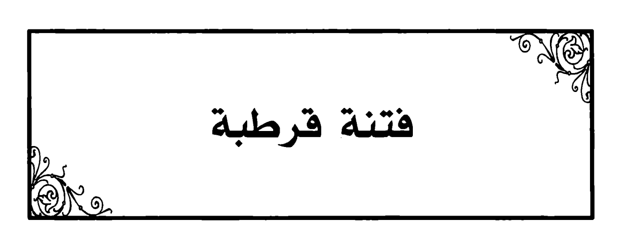
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٢١٠.

وكان بالمدينة آخر منهم فرؤي وهو يحذف قناديل المسجد بالحصباء فيكسرها، فقيل له: ما تفعل؟ قال: أنا كما ترى شيخ كبير لا أقدر على أكثر من هذا، أغرمهم قنديلاً أو قنديلين في كل يوم)(١).

لأجل ذلك فإنه يُحْمَدُ لخادم الحرمين الشريفين الملك الصالح سلمان بن عبدالعزيز مبادرته في إنشاء مركز (اعتدال) العالمي لمكافحة التطرف والإرهاب، ومقره الرياض، إذ الإرهاب لا دين له ولا وطن، كفى الله المؤمنين شره.



(١) التذكرة الحمدونية لابن حمدون ٩/٣٣٠.



فتنة قرطبة

لما تولى الحَكم بن هشام بن عبدالرحمٰن الداخل الحُكم مالَ إلى أهلِ الفسق واقترفَ الكبائر والمنكرات، فتحرّك الفقهاء وأرادوا الخروج عليه، فحصلت الفتنة، ووقع المحذور، وذاق الفقهاء من القتل والتعذيب ما ذاقوا، حتى قيل إنه قتل من الفقهاء ما يقارب السبعين رجلاً وصلبوا في تلك الفتنة، وشاء الله لبعضهم النجاة فهرب منهم من هرب!

وكان أحد العلماء "المطلوبين" لسيف السلطان الإمام الفقيه طالوت بن عبدالجبار المعافري تلميذ الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ، وهو من أكابر الفقهاء، وقد هرب من بطش الحَكم بن هشام، واستخفى عند جارٍ له يهوديّ مدّةَ عامٍ كامل، واليهودي في كل يوم يقوم بخدمته ويُكرمه أشد الكرم، فلما مضى عام كامل طال على الإمام طالوت الاختفاء، فاستدعى اليهودي وشكره على إحسانه إليه، وقال له: قد عزمت غدًا على الخروج وسأذهب إلى الوزير أبي البسام فقد قرأ عليّ القرآن وعلمته العلم، ولي عليه حق التعليم وحق العشرة وله جاهٌ عند الحَكم فعسى أن يشفع لي عنده فيؤمّنني ويتركني.

فقال اليهودي: يا مولاي لا تفعل. إني أخاف عليك من بطش الحَكم بك، وجعل اليهوديّ يحلف لهُ بكلِّ يمينٍ ويقول له: لو جلست عندي بقية عمرك ما مللت منك.

فأبى طالوت إلا الخروج، فخرج في الخفاء ليلاً حتى أتى دار الوزير فاستأذن عليه، فأذِن الوزير له، فلما دخل عليه رحّب به وأدنى مجلسه وسأله أين كان في هذه المدة، فقص عليه قصته مع اليهودي.

ثم قال الإمام طالوت للوزير أبى البسام: اشفع لي عند الحَكم حتى يؤمنني فوعده الوزير بذلك، ثم خرج الوزير من فوره إلى الأمير الحكم ووكل بطالوت من يحرسه.

فلما دخل الوزير أبو البسّام على الأمير الحَكم قال له: لقد جئتك بهدية؛ جئتك بطالوت رأس المنافقين، قد ظفرت به!

فقال الحَكم: قم فعجّل لنا به، فلم يلبث أن أُدخل الإمام طالوت على الأمير، وكان الأمير يتوقد ويشتعل غيظًا منه فلما رآه جعل يقول: طالوت؟؟! الحمد الله الذي أظفرني بك، ويْحك والله لأقتلنك شر قِتله! كيف استبحت حرمتي؟

فقال له الإمام طالوت: ما أجد لي في هذا الوقت مقالاً إلا أن أقول لك: والله ما أبغضتك إلا لله وحده حين وجدتك انحرفت عن الحق، وما فعلت معك إلا ما أمرني الله به، فسكن غيظ الحَكم.

ثم قال: يا طالوت، والله لقد أحضرتك وما في الدنيا

عذاب إلا وقد أعددته لك، وقد حيل بيني وبينك، فأنا أُخبرك أن الذي أبغضتني له قد صرفني عنك، اذهب قد عفوت عنك.

ثم سأله الحَكم: يا إمام، كيف ظفر بك الوزير أبو البسام؟

فقال طالوت: أنا أظفرته بنفسي عن ثقة، فأنا لي فضل عليه فقد علمته القرآن والبيان، واستأذنته أن يشفع لي عندك، فكان منه ما رأيت.

فقال له: فأين كنت قبل أن تذهب إليه؟

فأخبره طالوت بخبر اليهودي.

فأطرق الأمير رأسه، ثم نادى على وزيره أبي البسام وقال له: يا لك من رجل سوء قاتلك الله أيها المشؤوم أكرمه يهودي، وسترَ عليه لمكانة العلم والدين، وخاطرَ بنفسه من أجله، وغدرت به أنت يا صاحب الدين حين قصدك!

أيها المشؤوم ألا أديت له حق تعليمه لك، ألم تعلم أنه من خيار أهلِ ملّتك، وأردتَ أن تزيدنا فيما نحن قائمون عليه من سوء الانتقام، اخرج عني قبّحك الله، لا أرانا الله في القيامة وجهك هذا إن رأينا لك وجهاً، ولا أريد أن أراك بعد اليوم أيها المشؤوم.

ثم طرده من الوزارة وضيّق أرزاقه.

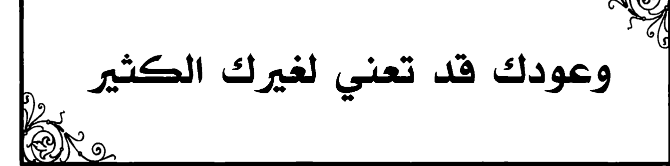
ثم مضت سنوات فرأى الناس هذا الوزير المنافق الكاذب في فاقةٍ وذُلٍّ، فقيل له ما بك وما الذى أصابك؟ قال: استُجيبت فيَّ دعوة الفقيه طالوت.

وكتب الحَكم لليهودي كتاباً بالجزية فيما ملك، وزاد في إحسانه، فلما رأى اليهودي ذلك، أسلم.

وأما الإمام طالوت فلم يزل مبروراً عند الأمير إلى أن توفي، فحضر الحَكم جنازته وأثنى عليه بصدقه وإخلاصه وعلمه(١).



(١) أورد هذه القصة الذهبي في السِّيَر ٨/٢٥٨-٢٥٩.



وعودك قد تعني لغيرك الكثير

يحكى أن ملكاً رجع إلى قصره في ليلةٍ شديدةُ البرودة، ورأى حارساً عجوزاً واقفاً بملابس رقيقة، فاقترب منه الملك وسأله: ألا تشعر بالبرد؟

ردَّ الحارس: بلى أشعر بالبرد أيها الملك، ولكنِّي لا أملك لباساً دافئاً، ولا مناص لي من تحمُّل البرد.

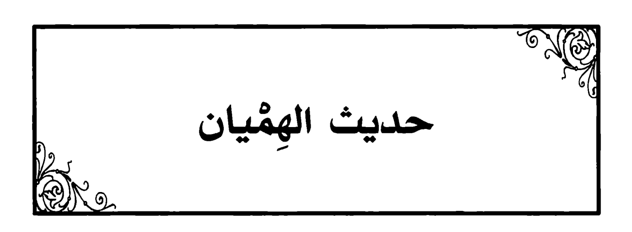
فقال له الملك: سأدخل القصر الآن وأطلب من أحد خدمي أن يأتيك بلباس دافئ.

فرح الحارس بوعد الملك فرحاً شديداً، ولكن ما إن دخل الملكُ قصره حتى نسي وعده.

وفي الصباح كان الحارس العجوز قد فارق الحياة وإلى جانبه ورقةٌ كتب عليها بخط مرتجف: "أيّها الملك، كُنت أتحمَّل البرد كل ليلةٍ صامداً، ولكن وعدك لي بالملابس الدافئة سلب منِّي قوَّتي وقتلني".

وعودك للآخرين قد تعني لهم أكثر مما تتصوّر..

فلا تخلف وعداً .. فأنت لا تدري ما تهدم بذلك.



حديث الهِمْيان

قصة جميلة يرويها الطبري رحمه الله تعالى: من أعجب القصص التي قرأتها، قال ابن جرير الطبري رحمه الله: كنت بمكة في سنة أربعين ومائتين، فرأيت خراسانياً ينادي: معاشر الحجاج! من وجد هِمْياناً فيه ألف دينار يردّه عليّ؟ أضعف الله له الثواب.

فقام إليه شيخ من أهل مكة كبير، من موالي جعفر بن محمد، فقال: يا خراساني، بلدنا فقير أهله، شديد حاله، أيامه معدودة، ومواسمه منتظرة، لعلّه يقع بيد رجل مؤمن يرغب فيما تبذله له حلالاً يأخذها، ويرده عليك.

قال الخراساني: يابا[1]، وكم يريد؟

قال: العُشْر: مائة دينار.

قال: يابا، لا نفعل، ولكن نحيله على الله عز وجل. قال: وافترقا.

قال محمد بن جرير الطبري: فوقع لي أن الشيخ صاحب

(١) كلمة (يا با) عراقية تعني يا أبتِ، ولعل أهل خرسان يتكلمون بها.

[القريحة]، الواجدُ للهميان، فاتبعته، وكان كما ظننت، فنزل إلى دار مسفلة خلقَة الباب والمدخل، فسمعته يقول: يا لبابة.

قالت: لبيك أبا غياث.

قال: وجدت صاحب الهميان ينادي عليه مطلقاً، فقلت له: قيّده بأن تجعل لواجده شيئاً. فقال: كم؟ قلت: عُشره. فقال: لا، ولكن نحيله على الله ﷻ.

فأي شيء نعمل، ولابدّ لي من ردّه؟

قال: فقالت له لبابة: نقاسي الفقر معك منذ خمسين سنة! ولك أربع بنات وأختان وأنا وأمي، وأنت تاسع القوم! فأشبعنا واكسنا، ولعل الله تبارك وتعالى يغنيك فتعطيه، أو يكافئه عنك ويقضيه.

فقال لها: لست أفعل، ولا أحرق حشاشتي بعد ست وثمانين سنة.

ثم سكت القوم، وانصرفت.

فلما كان من الغد، على ساعات من نهار، سمعت الخراساني يقول: معاشر الحاج ووفد الله من الحاضرين والبادين، من وجد همياناً فيه ألف دينار وردّه؟ أضعف الله له الثواب.

قال: فقام إليه الشيخ فقال له: يا خراساني، قد قلت لك بالأمس ونصحتك، وبلدنا والله بلد فقير، قليل الزرع والضرع، وقد قلت لك أن تدفع إلى واجده مائة دينار، فلعله أن يقع بيد رجل مؤمن يخاف الله ﷻ، فامتنعتَ! فقل له عشرة دنانير منها فيرده عليك، ويكون له في العشرة دنانير ستر وصيانة.

قال: فقال له الخراساني: لا نفعل، ولكن نحيله على الله ﷻ.

قال: ثم افترقا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فما تبعت الشيخ ولا الخراساني، وجلست أكتب كتاب النسب للزبير بن بكار.

فلما كان من الغد، سمعت الخراساني ينادي ذلك النداء بعينه، فقام إليه الشيخ فقال له: يا خراساني، قلت لك أول أمس: العُشْر منه، وقلتُ للأمس: عُشْر العُشْر، عشرة دنانير.

أعطه ديناراً: عُشْر عُشْر العشر، ديناراً واحداً من عشرة من مائة من ألف! يشتري بنصف دينار قُربة يسقي عليها المقيمين بمكة بالأجر سائر نهاره، وبنصف دينار شاة يحلبها، ويجعل ذلك لعياله غداءً.

قال: يابا لا نفعل، ولكن نحيله على الله ﷻ.

قال: فجذبه الشيخ وقال: تعال خذ هميانك، ودعني أنام الليل، وأرحني من محاسبتك وطلبك!

قال: فقال له: امشِ بين يديَّ.

قال: فمشى الشيخ، وتبعه الخراساني، وتبعتهما.

قال: فدخل الشيخ [فما لبث أن خرج، وقال: ادخل يا خراساني.

قال: فدخل ودخلت].

قال: فنبش تحت درجة له مزبلة، فأخرج منها الهميان أسود من خِرَق بخارية غلاظ، قال: هذا هميانك؟

قال: فنظر إليه، وقال: هذا همياني! ثم حلَّ رأسه من شدٍّ وثيق، ثم صبّ المال في حجر نفسه وقلّبها مراراً، وقال: هذه دنانيرنا! وأمسك فم الهميان بيده الشمال، وردَّ المال بيده اليمنى، حتى استوفى، ثم شدَّه شداً سهلاً، ووضعه على كتفه، وقلّب خلقانه فوقه، ثم أراد الخروج.

فلما بلغ باب الدار، تأمَّل الخراساني أمر الشيخ فرجع، وقال له: يا شيخ، مات أبي إلى رحمة الله تعالى، وترك لي من هذه ثلاثة آلاف دينار. فقال: أخرج ثلثها ففرقه في أحق الناس عندك له، وبعِ رحلي واجعله نفقة لحجك، فَفعلت ذلك وأخرجت ثلثها: ألف دينار، وشددتها في هذا، وما رأيت منذ خرجت من خراسان إلى ههنا رجلاً أحق به منك، خذه بارك الله لك فيه.

قال: ثم ولى وتركه.

قال: فوليتُ خلف الخراساني.

قال: فغدا أبو غياث فلحقني وردني بجذبة، وكان شيخاً مشدود الوسط بشريط، معصب الحاجبين، ذكر أن له ستاً وثمانين سنة، وإذا الفقر والجوع أنهكه، فقال لي: اجلس، فقد رأيتك تتبعني في أول يوم، وعرفتَ خبرنا في الأمس واليوم.

سمعتُ أحمد بن يونس اليربوعي يقول: سمعت مالكاً يقول: سمعت نافعاً يقول عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لعُمر وعلي رضي الله عنهما: (إذا أتاكما الله بهدية بلا مسألةٍ ولا استشراف نفسٍ فاقبلاها، ولا ترداها فترداها على الله عز وجل، فهي هدية من الله تعالى).

و(الهدية لمن حضر) لما روي في المأثور عن رسول الله ﷺ بذلك يا فتى.

ثم قال: يا لبابة وكثينة وبثينة، وأسماء الباقيات منهن ـ قال أبو حازم: نسيت أسماء البنات والأخوات منهن ـ وقعد وأقعدني، وكان له أربع بنات وأختان وزوجة وأمها وهو وأنا، فصرنا عشرة، فحلَّ الهميان، وقال: ابسطوا حجوركم.

فبسطتُ حجري، وما كان لهن قميص له حجر يبسطنه، فمددن أيديهن. وأقبل يعد ديناراً ديناراً، حتى إذا بلغ العاشر إليَّ قال: ولك دينار، لأنه أقعدهن على يمينه، وأقعدني على شماله، وكان يبدأ بنفسه ثم يعطيهن حتى فرغ الهميان، فكانت ألفاً فيها ألف، فأصابني مائة دينار.

فداخلني من سرور غناهم أشد مما داخلني من سرور ما أصابني من المائة دينار وهدية الله لي.

فلما أردت الخروج قال لي: يا فتى، إنك لمبارك! وما رأيت هذا المال قط، ولا أملته قط، وإني لأنصحك: إنه حلال فاحتفظ به.

واعلم أني أقوم سحراً فأصلي الغداة في هذا القميص الخَلق ثم أنزعُه، فيصلين فيه واحدةً واحدة، حتى يصلين الثمانية فيه، ثم أمضي أكتسب إلى بين الظهر والعصر، [فأعود إليهن فأعطيهن فيصلين فيه الظهر والعصر]، ثم أخرج إلى تمام استرزاق الله ﷻ، ثم أعود في آخر النهار بما فتح الله ﷻ من إقط

وتمر وكسيرات كعك، ومن بقول انتبذت، ثم أنزعه فيتداولنه فيصلين فيه المغرب والعشاء الآخرة.

فنفعهن الله بما أخذن، ونفعني وإياك بما أخذنا، ورحم الله صاحب المال في قبره، وأضعف ثواب الحامل للمال وشكر له.

قال محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: فودعته، وكتبت بها العلم سنين، أتقوت بها، وأشتري منها الورق، وأسافر وأعطي الأجرة.

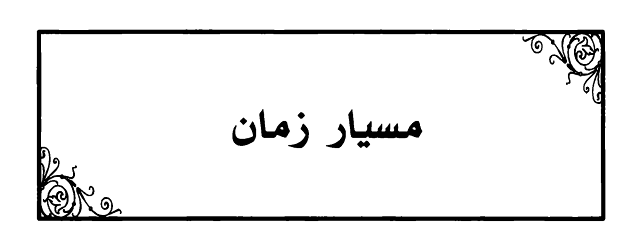
فلما كان سنة ست وخمسين سالت عن الشيخ بمكة، فقيل لي إنه مات بعد ذلك بشهور، ووجدت بناته ملكات تحت ملوك، وماتت الأختان وأمهن أو أمها، وكنت أنزل على أزواجهن وأولادهن؟ فأحدثهم بذلك، فيأنسون بي ويكرموني.

ولقد حدثني محمد بن حيان العجلي في سنة تسعين ومائتين أن ما بقي منهم نذير ولا بشير، فبارك الله لهم في موتهم، وبارك لنا ولهم فيما صاروا ونصير إليه.

تم حديث الخراساني مع أبي غياث الجعفري، رحمهما الله تعالى. برواية أبي جعفر محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. وحسبنا الله ونعم الوكيل(١).



(١) حديث الهميان لابن جرير الطبري، رسالة لطيفة من مطبوعات مكتبة العبيكان.



مسيار زمان

يحكى أنه كان ببغداد رجل بزَّاز [يبيع الثياب] له ثروة، فبينما هو في حانوته أقبلت إليه صبية فالتمست منه شيئاً تشتريه، فبينا هي تحادثه كشفت وجهها في خلال ذلك، فتحيَّر، وقال: قد والله تحيرت مما رأيت.

فقالت: ما جئت لأشتري شيئاً، إنما لي أيام أتردد إلى السوق ليقع بقلبي رجل أتزوجه، وقد وقعت أنت بقلبي، ولي مالٌ، فهل لك في التزوج بي؟

فقال لها: لي ابنة عم وهي زوجتي، وقد عاهدتها ألا أُغيرها، ولي منها ولدٌ.

فقالت: قد رضيت أن تجيء إليَّ في الأسبوع نوبتين.

فرضي، وقام معها، فعقد العقد، ومضى إلى منزلها، فدخل بها.

ثم ذهب إلى منزله، فقال لزوجته: إنَّ بعض أصدقائي قد سألني أن أكون الليلة عنده.

ومضى، فبات عندها، وكان يمضي كل يوم بعد الظهر إليها.

فبقي على هذا ثمانية أشهر، فأنكرت ابنة عمه أحواله فقالت لجارية لها: إذا خرج فانظري أين يمضي؟

فتبعته الجارية، فجاء إلى الدكان، فلمَّا جاء الظُّهر قام، وتبعته الجارية، وهو لا يدري، إلى أن دخل بيت تلك المرأة، فجاءت الجارية إلى الجيران فسألتهم: لمن هذه الدار؟

فقالوا: لصبيَّة قد تزوجت برجلٍ تاجر بزَّاز.

فعادت إلى سيِّدتها، فأخبرتها، فقالت لها: إياك أن يعلم بهذا أحدٌ.

ولم تُظهِر لزوجها شيئاً.

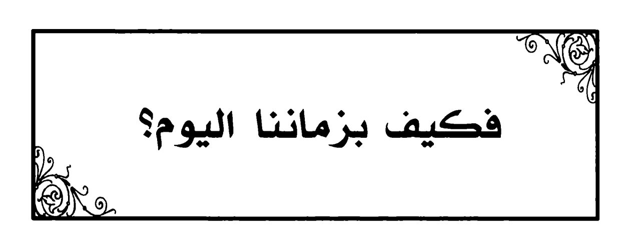
فأقام الرجل تمام السنة، ثم مرض، ومات، وخلف ثمانية آلاف دينار، فعمدت المرأة التي هي ابنة عمه إلى ما يستحقه الولد من التركة، وهو سبعة آلاف دينار، فأفردتها وقسمت الألف الباقية نصفين، وتركت النصف في كيس، وقالت للجارية: خذي هذا الكيس واذهبي إلى بيت المرأة، وأعلميها أنَّ الرجل مات، وقد خلف ثمانية آلاف دينار، وقد أخذ الابن سبعة آلاف بحقِّه، وبقيت ألف فقسمتها بيني وبينك، وهذا حقُّك، وسلِّميه إليها.

فمضت الجارية، فطرقت عليها الباب ودخلت، وأخبرتها خبر الرجل، وحدثتها بموته، وأعلمتها الحال، فبكت، وفتحت صندوقها، وأخرجت منه رقعة، وقالت للجارية: عودي إلى سيدتك، وسلِّمي عليها عنِّي، وأعلميها أن الرجل طلقني، وكتب لي براءة، وردِّي عليها هذا المال، فإنِّي ما أستحق في تركته شيئاً)[١].

(١) صفوة الصفوة لابن الجوزي ١/٣٠٠.

فلا ندري أنعجب من عقل الزوجة الأولى وحسن تصرفها مع الأزمة التي حلت بحياتها، أم من عقل الزوجة الثانية التي سمت بعقلها عن ضيق الأفق، وكانت في موقفها مع ضرتها فريدة في تصرفها؟!!





فكيف بزماننا اليوم؟

قال الإمام مالك (المتوفى سنة ١٧٩هـ) رَحِمَهُ اللهُ: "ما في زماننا شيءٌ أقَلَّ من الإنصاف!".

علَّق القرطبي رَحِمَهُ اللهُ قائلاً: (هذا زمان مالك، فكيف في زماننا اليوم، الذي عمَّ فيه الفساد، وكثر فيه الطُّغَام!، وطُلِب فيه العلمُ للرياسة لا للدراية! بل للظهور في الدنيا وغلبة الأقرانِ بالمراء والجدال الذي يقسِّي القلبَ ويورث الضَّغَنَ، وذلك مما يَحْمِل عليه عدمُ التقوى وترْك الخوفِ من الله تعالى!)[1].

قلت: فكيف بزماننا هذا والله المستعان.



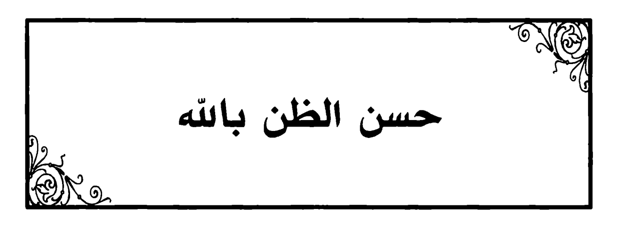
---

(١) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ١/٢٤٥.

من روائع الأمير الشاعر خالد الفيصل

لو كل زَلَّتْ رفِيقٍ أَشِيلْ منها واضيق
تَعذَّرْتْ في الرّفْقة وَصكِّيت بِيبَانها
مَا كل من قال أنا صَاحِبْك أعدَّه رفيق
ولا كل زلة رفيق أزعل على شانها

❀ ❀ ❀



حسن الظن بالله

قيل لأعرابي: إنك ميت!

فقال: ثم إلى أين؟

قيل له: إلى الله تعالى.

قال: ما وجدنا الخير إلا من الله تعالى، أفنخشى لقاءه!

قلت: ما أعظم حسن الظن بالله تعالى، في الحديث عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: (لَا يَمُوتُ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ)[١].

قال ابن القيِّم رحمه الله: (كلما كان العبد حَسن الظَّن بالله، حَسن الرَّجاء له، صادق التوكُّل عليه: فإنَّ الله لا يخيِّب أمله فيه البتَّة؛ فإنَّه سبحانه لا يخيِّب أمل آملٍ، ولا يضيِّع عمل عاملٍ، وعبَّر عن الثقة وحُسْن الظَّن بالسَّعة؛ فإنَّه لا أشرح للصَّدر، ولا أوسع له بعد الإيمان من ثقته بالله، ورجائه له، وحُسْن ظنِّه به)[٢].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، برقم ٢٨٧٧.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ٤٧١/١.

وقال أيضاً: (فعلى قدر حُسْن ظنِّك بربِّك ورجائك له، يكون توكُّلك عليه؛ ولذلك فَسَّر بعضهم التَّوكُّل بحُسْن الظَّن بالله، والتَّحقيق: أنَّ حُسْن الظَّن به يدعوه إلى التوكُّل عليه، إذ لا يُتَصَوَّر التَّوكُّل على من ساء ظنك به، ولا التَّوكُّل على من لا ترجوه)(١).

وما أجمل حسن الظن بالله عندما يكون بيقينٍ وقناعة.

سئل أحد السلف: هل تعرف رجلاً مستجاب الدعوة؟

قال: لا ولكني أعرف من يستجيب الدعوة.

وسأل أعرابي ابن عباس رضي الله عنهما: من يحاسب الناس يوم القيامة؟

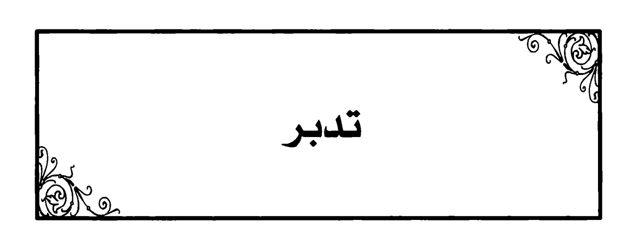
قال: الله.

قال الأعرابي: نجونا ورب الكعبة.

❁ ❁ ❁

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ١/١٢١.



تدبر

يقول الله سبحانه وتعالى في وصف يوم الحشر:

﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨] لم يقل (للجبار) رغم أنه موطن العظمة والجبروت في يوم الحشر، بل قال ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾، جاء بالرحمة في مقام تنخلع فيه القلوب.

أسأل الله جلة قدرته أن يشملني ويشملكم ومن تحبون برحمته ويظلني ويظلكم بظله يوم لا ظل إلا ظله، آمين.



دواء الإعجاب بالنفس

يحكي الفقيه أبو الحسن الماوردي (المتوفى سنة ٤٥٠هـ) ـ وهو من كبار فقهاء الشافعية ـ قصةً عجيبةً حصلت له، حيث قال: (مما أنذرك به من حالي أنني صنفت في البيوع كتاباً جمعت فيه ما استطعت من كتب الناس، وأجهدت فيه نفسي وكددت فيه خاطري، حتى إذا تهذب واستكمل وكدت أعجب به، وتصورت أنني أشد الناس اضطلاعاً بعلمه؛ حضرني وأنا في مجلسي أعرابيان، فسألاني عن بيعٍ عقداه في البادية على شروط تضمنت أربع مسائل، ولم أعرف لواحدةٍ منهن جواباً.

فأطرقت مفكراً، وبحالي وحالهما معتبراً، فقالا: ما عندك فيما سألناك جوابٌ وأنت زعيم هذه الجماعة؟! فقلت: لا. فقالا: واهاً لك، وانصرفا.

ثم أتيا من يتقدمه في العلم كثير من أصحابي فسألاه، فأجابهما مسرعاً بما أقنعهما، وانصرفا عنه راضيين بجوابه، حامدين لعلمه.

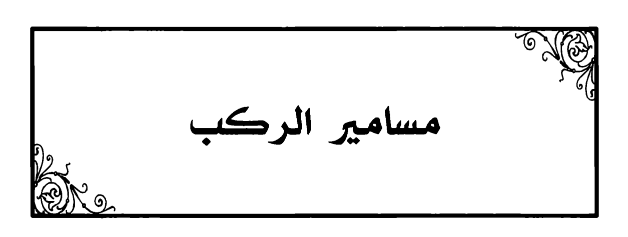
فبقيت مرتبكاً، وبحالهما وحالي معتبراً، وإني لعلى ما كنت

عليه من المسائل إلى وقتي، فكان ذلك زاجر نصيحة، ونذير عظة تذَلَّلَ بها قياد النفس، وانخفَضَ لها جناح العجب، توفيقاً مُنحته، ورُشداً أوتيته.

وحقٌّ على من ترك العجب بما يحسن أن يدع التكلف لما لا يحسن، فقديماً نهى الناس عنهما، واستعاذوا بالله منهما)[1].

❁ ❁ ❁

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي ص: ٧٣.



مسامير الركب

قال القاضي عبدالجبار الهمذاني المعتزلي (المتوفى سنة ٤١٥هـ):

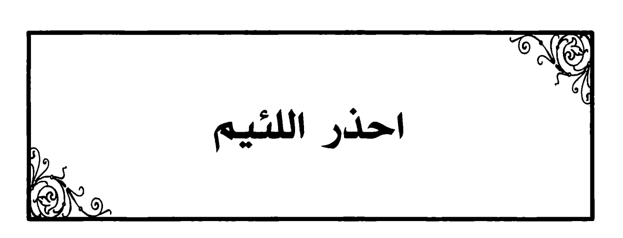
(والتمور من الأغذية الشريفة النافعة التي يحيا بها الحيوان والأنس وغيره، وفي التمر مع اللذة بأكله؛ إخراج التعب، وراحة للمكدود، والملاحون يسمونه لأجل هذا "مسامير الركب")[١].

قلت: ولعل ضبطها (مُسَامِيْرُ الرَّكْبِ) أي أن المسافر يتحلَّى به في السفر ويتسامر به، وهو زاد المسافر في الغالب.

والعامة في نجد يقولون عن التمر: (مَسَامِيْرُ الرُّكَبِ)، أي أنه يقوي مفاصل الركبة وينشط الجسم، ولم يغربوا بهذا المعنى. والله أعلم.



(١) تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبدالجبار ٦٣٧/٢.

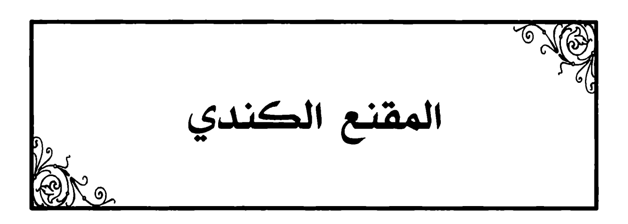


احذر اللئيم

من أجمل ما قالت العرب:

إذَا امتَلأت كَفُ اللَّئيَمِ مِنَ الغِنَى
تـمَـايـلَ إعـجَـابـاً وقَـال أنَـا أنَـا
ولكن كَرِيمُ الأصلِ كَالغصن كُلَّمَا
تَـحـمَّـلَ أثْـمَـاراً تَـواضَـع وَانْـحَـنـى





المقنع الكندي

الشاعر المقنع الكندي، واسمه محمد بن عمير بن أبي شمَّر الكندي، وكان من أجمل أهل زمانه وأحسنهم وجهاً، وأتمهم قامة، وكان إذا حسر اللثام عن وجهه أصابته العين، ويلحقه عنتٌ ومشقة، فكان لا يمشي إلا مقنعاً، فسمي لذلك بالمقنع، وهو شاعر مقل من شعراء الإسلام في عهد بني أمية، وكان له محلٌ وشرفٌ ومروءةٌ وسؤددٌ في عشيرته، وكان متخرقاً في عطاياه، سمح اليد بماله، لا يرد سائلاً عن شيء، وشعره هذا من أحسن ما قيل في معناه، جزالةً ونقاوةً وسباطةً وحلاوة(١):

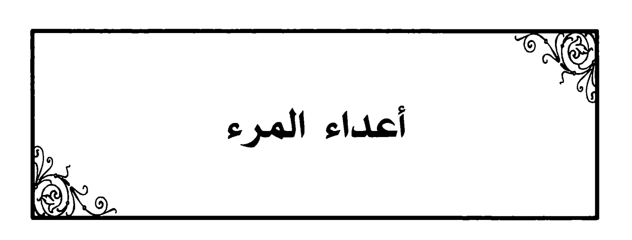
يعاتبني في الدَّيْنِ قومي وإنما	ديوني في أشياء تكسبهم حمدا
ألم ير قومي كيف أوسِرُ مرة	وأعسر حتى تبلغ العسرة الجهدا
فما زادني الإقتار منهم تقرباً	ولا زادني فضل الغنى منهم بعدا
أسد به ما قد أخلُّوا وضيعوا	ثغور حقوقٍ ما أطاقوا لها سدا
وفي جفنةٍ ما يغلق الباب دونها	مكللةٍ لحماً مدفقةً ثردا
وفي فرسٍ نهدٍ عتيقٍ جعلته	حجاباً لبيتي ثم أخدمته عبدا

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبدالبر

وإن الذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمي لمختلف جدا
أراهم إلى نصري بطاءٌ وإن هم ... دعوني إلى نصر أتيتهم شدا
إذا قدحوا لي نار حرب بزندهم ... قدحت لهم في كل مكرمة زندا
فإن يأكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وإن يهدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم ... وإن هم هووا غيي هويت لهم رشدا
وإن زجروا طيراً بنحسٍ تمر بي ... زجرت لهم طيراً تمر بهم سعدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم ... وليس كريم القومِ من يحمل الحقدا
لهم جلّ مالي إن تتابع لي غنىً ... وإن قل مالي لم أكلفهم رفدا
وإني لعبد الضيف ما دام نازلاً ... وما شيمةٌ لي غيرها تشبه العبدا





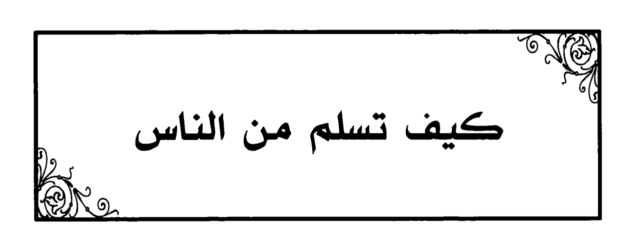
أعداء المرء

قال رؤبة بن العجاج: سألت أبو ضمضمة النسابة البكري: من أعداء المرء؟

قال: (بنو عم السوء: إن رأوا حسناً دفنوه، وان رأوا سيئاً أذاعوه)[١].



(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٠٤/٨مفتاح دار السعادة لابن القيم ١٦٨/١



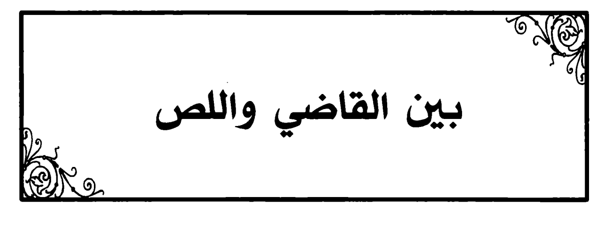
كيف تسلم من الناس

قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قيل إنَّ أحمد بن حمبل رَحِمَهُ اللَّهُ خرج إلى حاتم الأصم، ورحب به، وقال له: كيف التخلص من الناس؟

قال: أن تعطيهم مالك، ولا تأخذ من مالهم، وتقضي حقوقهم، ولا تستقضي أحداً حقك، وتحتمل مكروهَهُم، ولا تُكْرِهُهُم على شيءٍ، ولَيْتَكَ تَسْلَم(١).



(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٨٧/١١.



بين القاضي واللص

روى تاج الدين السبكي بسنده عن محمد بن مقاتل الماسقوري قاضي الري: قال كان محمد بن الحسين الرازي يكثر الإدلاج إلى بساتينه فيصلي الصبح ثم يعود إلى منزله إذا ارتفعت الشمس وعلا النهار، قال محمد بن مقاتل: فسألته عن ذلك قال: بلغني في حديث عن النبي ﷺ أنه قال: (حبب إليَّ الصلاة في الحيطان)[١]، وذلك أن أهل اليمن يسمون البستان الحائط.

قال محمد بن الحسين: فخرجت إلى حائطٍ لي لأصلي فيه الفجر، رغبة في الثواب والأجر، فعارضني لصٌ جريءُ القلبِ، خفيفُ الوثْبِ، في يده خِنجرٌ كلسانِ الكلبِ، ماء المنايا يجول على فِرِنْدِهِ، والآجال تلُوحُ في حدِه، فضرب بيده إلى صدري، ومكن الخنجر من نحري، وقال لي بفصاحة لسان وجراءة جنان: انزع ثيابك، واحفظ إهابك، ولا تكثر كلامك، تلاق حمامك، ودع عنك التلوم وكثرة الخطاب، فلا بد لك من نزع الثياب.

---

(١) أخرجه الترمذي في الصلاة، باب ما جاء في الصلاة في الحيطان، بلفظ: (كان يستحب الصلاة في الحيطان)، رقم (٣٣٤)، وقال: حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن أبي جعفر. والحسن بن أبي جعفر قد ضعفه يحيى بن سعيد، وغيره، وضعفه الشيخ الألباني في السلسلة ٢٦٨/٩.

فقلت له: يا سبحان الله، أنا شيخ من شيوخ البلد، وقاض من قضاة المسلمين، يُسمع كلامي، ولا ترد أحكامي ومع ذلك فإني من نقلة حديث رسول الله ﷺ منذ أربعين سنة، أما تستحيي من الله أن يراك حيث نهاك.

فقال لي: يا سبحان الله، أنت أيضاً أما تراني شاباً مِلْءُ بدني، أرُوق الناظر، وأملأُ الخاطر، وآوي الكهوف والغيران، وأشرب ماء القيعان والغدران، وأسلك مخوف المسالك، وأُلْقِي بيدي في المهالك، ومع ذلك فإني وَجِلٌ من السلطان، مشردٌ عن الأهلِ والأوطان، وحشى أن أعثر بواحد مثلك وأتركه يمشي إلى منزل رحب وعيش رطب، وأبقى أنا هنا أكابد التعب وأناصب النصب، وأنشأ اللص يقول:

ترى عينيك ما لم ترياه   كلانا عالم بالترهات

قال القاضي: أراك شاباً فاضلاً ولصاً عاقلاً، ذا وجه صبيح ولسان فصيح، ومنظر وشارة، وبراعة وعبارة.

قال اللص: هو كما تذكر وفوق ما تنشر.

قال القاضي: فهل لك إلى خصلة تعقبك أجراً وتكسبك شكراً، ولا تهتك مني ستراً، ومع ذلك فإني مسلم الثياب إليك ومتوفر بعدها عليك.

قال اللص: وما هذه الخصلة؟

قال القاضي: تمضي إلى البستان معي، فأتوارى بالجدران، وأسلم إليك الثياب، وتمضي على المسار والمحاب.

قال اللص: سبحان الله، تشهد لي بالعقل وتخاطبني بالجهل!

ويحك من يؤمنني منك أن يكون لك في البستان غلامان جلِدان علجان ذوا سواعد شديدة وقلوب غير رعديدة، يشداني وثاقاً ويسلماني إلى السلطان، فيُحكِّم فيَّ آراءَه، ويقضي عليَّ بما شاءَه.

قال له القاضي: لعمري إنه من لم يفكر في العواقب فليس له الدهر بصاحب، وخليق بالوجِلِ من كان السلطان له مراصداً، وحقيق بإعمال الحيل من كان للسيئات قاصداً، وسبيل العاقل ألا يغتر بعدوه، بل يكون منه على حذر، ولكن لا حذر من قدر، ولكن أحلف لك أليَّة مسلم، وجهد مقسم، أني لا أوقع بك مكراً ولا أضمر لك غدراً.

قال اللص: لعمري لقد حسَّنت عبارتك ونمقتها، وحسَّنت إشارتك وطبقتها، ونثرت خيرك على فخ ضيرك، وقد قيل في المثل السائر على ألسنة العرب: (أَنَجزَ حُرٌ ما وعد، أدرك الأسدَ قبل أن يلتقي على الفريسة لحياه، ولا يعجبك من عدو حسن محياه)، وأنشد:

لا تخدش وجه الحبيب فإنا قد كشفناه قبل كشفك عنه
واطلعنا عليه والمتولي قطع أذن العيار أعير منه

ألم يزعم القاضي أنه كتب الحديث زماناً، ولقي فيه كهولاً وشبَّاناً، حتى فاز ببَكره وعُونِه، وحاز منه فقر متونه وعيونه.

قال القاضي: أجل.

قال اللص: فأي شيء كتبت في هذا المثل الذي ضربت لك فيه المثل وأعملت الحيل.

قال القاضي: ما يحضرني في هذا المقام الحرج حديث أسنده، ولا خبرٌ أورده، فقد قَطَعَت هيبتكَ كلامي، وصدعت قبضتك عظامي، فلساني كليلٌ وجناني عليلٌ وخاطري نافرٌ ولبي طائر.

قال اللص: فليسكن لُبْكَ وليطمئنَ قلبُك، اِسمع ما أقول وتكوَّن بثيابك حتى لا تذهب ثيابك إلا بالفوائد.

قال القاضي: هات.

قال اللص: حدثني أبي، عن جدي، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (يمين المكره لا تلزمه، فإن حلف وحنث فلا شيء عليه).

وأنت إن حلفت، حلفت مكرهاً، وإن حنثتَ فلا شيء عليك، انزع ثيابك.

قال القاضي: يا هذا، قد أعيتني مضاءة جنانك وذرابة لسانك وأخذك علي الحجج من كل وجه، وأتيت بألفاظ كأنها لسع العقارب، أقم ها هنا حتى أمضي إلى البستان وأتوارى بالجدران، وأنزع ثيابي هذه وأدفعها إلى صبي غير بالغ تنتفع بها أنت، ولا أنهتك أنا، ولا تجري على الصبي حكومة لصغر سنه وضعف منته.

قال اللص: يا إنسان قد أطلت المناظرة وأكثرت المحاورة، ونحن على طريق ذي غرر، ومكان صعب وعر، وهذه المراوغة

لا تنتج لك نفعاً، وأنت لا تستطيع لما أرومه منك دفعاً، ومع هذا فتزعم أنك من أهل العلم والرواية والفهم والدراية، ثم تبتدع وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: (الشريعة شريعتي والسنة سنتي فمن ابتدع في شريعتي وسنتي فعليه لعنة الله).

قال القاضي: يا رجل وما هذا من البدع؟

قال اللص: اللصوصية بنسيئة بدعةٌ، انزع ثيابك، فقد أوسعت من ساعة محالك ولم أشدد عقالك حياء من حسن عبارتك وفقه بلاغتك وتقلبك في المناظرة وصبرك تحت المخاطرة.

فنزع القاضي ثيابه ودفعها إليه وأبقى السراويل.

فقال اللص: انزع السراويل كي تتم الخلعة.

قال القاضي: يا هذا دع عنك هذا الاغتنام وامض بسلام، ففيما أخذت كفاية، وخل السراويل، فإنه لي ستر ووقاية، لا سيما وهذه صلاة الفجر قد أزف حضورها، وأخاف تفوتني فأصليها في غير وقتها، وقد قصدت أن أفوز بها في مكان يحبط وزري ويضاعف أجري، ومتى منعتني من ذلك كنت كما قال الشاعر:

إن الغراب وكان يمشي مشية ... فيما مضى من سالف الأحوال
حسد القطاة فرام يمشي مشيها ... فأصابه ضرب من العقال
فأضل مشيته وأخطأ مشيها ... فلذاك كنوه أبا المرقال

قال اللص: القاضي أيده الله تعالى يرجع إلى خلعة غير هذه

أحسن منها منظراً وأجود خطراً، وأنا لا أملك سواها، ومتى لم تكن السراويل في جملتها ذهب حسنها وقل ثمنها، لاسيما والتكة (حبل السروال) مليحة وسيمة، ولـها مقدار وقيمة، فدع ضرب الأمثال، وأقلع عن ترداد المقال، فلست ممن يرد بالمحال ما دامت الحاجة ماسَّة إلى السروال ثم أنشد:

دع عنك ضربك سائر الأمثال ... واسمع إذا ما شئت فصل مقال
لا تطلبن مني الخلاص فإنني ... أفتي فمتى ما جئتني بسؤال
ولأنت إن أبصرتني أبصرت ذا ... قـول وعـلـم كـامـل وفـعـال
جارت عليه يد الليالي فانثنى ... يبغي المعاش بصارم ونصال
فالموت في ضنك المواقف دون أن ... ألـقـى الـرجـال بـذلـة الـتـسـآل
والـعـلـم لـيـس بـنـافـع أربـابـه ... أولا فـقـومـه عـلـى الـبـقـال

ثم قال: ألم يقل القاضي إنه يتفقه في الدين، ويتصرف في فتاوي المسلمين.

قال القاضي: أجل.

قال اللص: فمن صاحبك من أئمة الفقهاء؟

قال القاضي: صاحبي محمد بن إدريس الشافعي.

قال اللص: اسمع هذا وتكون بالسراويل، حتى لا تذهب عنك السراويل إلا بالفوائد.

قال القاضي: أجل يا لها من نادرة ما أغربها وحكاية ما أعجبها.

قال اللص: أي شيء قال صاحبك في صلاة الفجر وغيرها وأنت عريان؟

قال القاضي: لا أدري.

قال اللص: حدثني أبي، عن جدي، عن محمد بن إدريس يرفعه، قال: قال رسول الله ﷺ: (صلاة العريان جائزة ولا إعادة عليه)، تأول في ذلك غرق البحر إذا سلموا إلى الساحل(١).

فنزع القاضي السراويل وقال: خذه وأنت أشبه بالقضاء مني، وأنا أشبه باللصوصية منك، يا من درس على أخذ ثيابي موطأ مالك وكتاب المزني.

ومد يده ليدفعه إليه، فرأى الخاتم في إصبعه اليمنى.

فقال: انزع الخاتم.

فقال القاضي: إن هذا اليوم ما رأيت أنحس منه صباحاً ولا أقل نجاحاً، ويحك ما أشرهك وأرغبك وأشد طلبك وكلبك، دع هذا الخاتم فإنه عارية معي، وأنا خرجت ونسيته في إصبعي، فلا تلزمني غرامته.

قال اللص: العارية غير مضمونة، ما لم يقع فيها شرط عندي، ومع ذلك أفلم يزعم القاضي أنه شافعي؟

قال: نعم.

قال اللص: فلم تختمت في اليمين.

قال القاضي: هو مذهبنا.

قال اللص: صدقت، إلا أنه صار من شعار المضادين (شيعة علي رضي الله عنه).

---

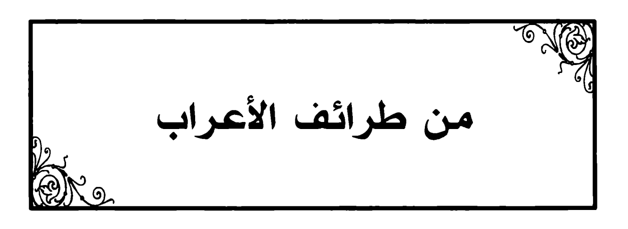
(١) الأم ٧٩/١ باب صلاة العراه.

قال القاضي: فأنا أعتقد ولاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، تفضيله على كل المسلمين من غير طعن على السلف الراشدين، وهذا في الأصول اعتقادي، وعلى مذهب الشافعي في الفروع اعتمادي.

فأخذ اللص في رد مذهب الرفض وجرت بينهما في ذلك مناظرة طويلة، رويناها بهذا الإسناد، انقطع فيها القاضي وقال بعد أن نزع الخاتم ليسلمه إليه: خذ يا فقيه، يا متكلم، يا أصولي، يا شاعر، يا لص[1].



(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٩/٣٢٩-٣٣٥، وذكرها ابن الجوزي مختصرة في كتاب الأذكياء.



من طرائف الأعراب

قيل لأعرابي من بني تميم: أيهما أحب إليك أن تلقى الله ظالماً أو مظلوماً؟

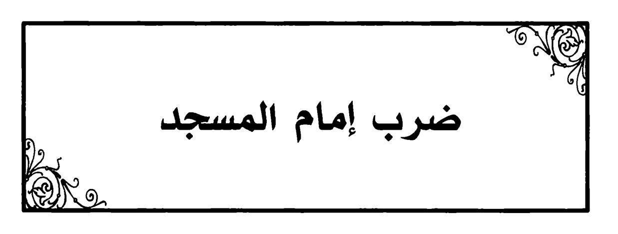
قال: لا بل ظالماً والله.

قالوا: سبحان الله أتحب الظلم!

قال فما عذري إن أتيته مظلوماً. يقول: خلقتك مثل البعير الصحيح ثم تأتيني تعصر عينك وتشتكي(١).



(١) نثر الدر للآبي ٦/٣١٢.



ضرب إمام المسجد

قال المتوكل لِعُبادة: رُفع إليَّ أنك ضربت إمام مسجد، وإن لم تأتِ بعذرٍ أدّبتُك.

قال: يا أمير المؤمنين، كنت قد خرجت في بعض الأيام لحاجة لي غلساً، فمررت بمسجد قد أُذّن فيه لصلاة الفجر، فقلت: أقضي هذه العبادة، ثم أتوجه لحاجتي، فدخلت، فأقام المؤذن، ودخلنا في الصلاة، فابتدأ الإمام فقرأ الفاتحة، وافتتح سورة البقرة، فقلت: لعله يريد أن يقرأ آياتٍ من هذه السورة، فانتهى إلى آخرها في الركعة الأولى!!

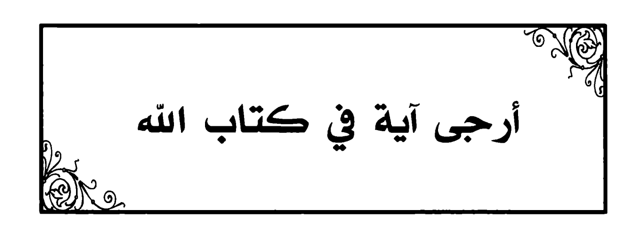
ثم قام إلى الثانية، فلم أشك في أنه يقرأ مع الفاتحة سورة الإخلاص.

فافتتح سورة آل عمران حتى أتمها!، ثم أقبل بوجهه على الناس، وقد كادت الشمس تطلع. فقال: أعيدوا صلاتكم ـ رحمكم الله ـ، فإني لم أكن على طهارة، فقمتُ إليه وصفعتُه.

فضحك المتوكل من ذلك![1]

---

(١) نثر الدر للآبي ١٦٧/٧.



أرجى آية في كتاب الله

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب: ٤٧].

هذه أرجى آية في كتاب الله، لأن الله أمر نبيه ﷺ أن يبشر المؤمنين بأن لهم عنده فضلاً كبيراً، وقد بيّن الله تعالى الفضل الكبير في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الشّورى: ٢٢].

جعلني الله وإياكم منهم... آمين

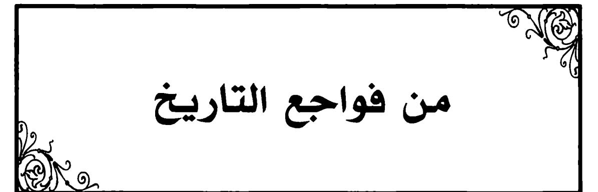
فائدة

قال الإمام أبو محمد التميمي رحمه الله[1]: (يقبح بكم أن تستفيدوا منا، ثم تذكروننا ولا تترحموا علينا)[2].

---

(١) الإمام، العلامة، الواعظ، شيخ الحنابلة، أبو محمد، رزق الله بن عبدالوهاب بن عبدالعزيز التميمي البغدادي، كبير بغداد وجليلها، ولد سنة ٣٩٦هـ وتوفي سنة ٤٨٨هـ.
انظر: السير ٦٠٩/١٨، الكامل في التاريخ ٢٥٣/١٠، تذكرة الحفاظ ١٢٠٨/٤، البداية والنهاية ١٥٠/١٢، ذيل طبقات الحنابلة ٧٧/١-٨٥، المنهج الأحمد ١٦٤/٢-١٧١، طبقات المفسرين ١٧١/١، شذرات الذهب ٣٨٤/٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ٦١٣/١٨.



من فواجع التاريخ

في قراءة التاريخ عبرة، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في البداية والنهاية في حوادث سنة ٢٨١هـ: (غلت الأسعار جدًّا، وجهد الناس حتى أكل بعضهم بعضاً، فكان الرجل يأكل ابنه وابنته، فإنا لله وإنا إليه راجعون)[١].

وقال في حوادث سنة ٣٣٤هـ: (وقع غلاءٌ شديدٌ ببغداد حتى أكلوا الميتة والسنانير والكلاب، وكان من الناس من يسرق الأولاد فيشويهم ويأكلهم)[٢].

وقال في حوادث سنة ٤٤٩هـ: (أكل الناس الجيف والنتن من قلة الطعام، ووجد مع امرأة فخذ كلب قد اخضرَّ، وشوى رجل صبية في الأتون وأكلها، وسقط طائر ميت من حائط فاحتوشه خمسة أنفس فاقتسموه وأكلوه، ووقع وباء بالأهواز وبواط وأعمالها وغيرها، حتى طبق البلاد وكان أكثر سبب ذلك الجوع، كان الفقراء يشوون الكلاب وينبشون الموتى ويأكلونهم)[٣].

---

(١) البداية والنهاية ٨١/١١.

(٢) البداية والنهاية ٢٤١/١١.

(٣) البداية والنهاية ٨٩/١٢.

وقال في حوادث سنة ٤٦٢هـ: (ضاقت النفقة على أمير مكة فأخذ الذهب من أستار الكعبة والميزاب وباب الكعبة، فضرب ذلك دراهم ودنانير، وكذا فعل صاحب المدينة بالقناديل في المسجد النبوي.

وفيها كان غلاء شديد بمصر فأكلوا الجيف والميتات والكلاب، فكان يباع الكلب بخمسة دنانير، وماتت الفيلة فأكلت ميتاتها، وأفنيت الدواب فلم يبق لصاحب مصر سوى ثلاثة أفراس، بعد أن كان له العدد الكثير من الخيل والدواب، ونزل الوزير يوماً عن بغلته فغفل الغلام عنها لضعفه من الجوع، فأخذها ثلاثة نفر فذبحوها وأكلوها، فأخذوا وصلبوا فما أصبحوا إلا وعظامهم بادية، قد أخذ الناس لحومهم فأكلوها، وظُهر على رجل يقتل الصبيان والنساء ويدفن رءوسهم وأطرافهم ويبيع لحومهم، فقُتل وأُكل لحمه.

وكانت الأعراب يقدمون بالطعام يبيعونه في ظاهر البلد، لا يتجاسرون يدخلون لئلا يخطف وينهب منهم، وكان لا يجسر أحد أن يدفن ميته نهاراً وإنما يدفنه ليلاً خفية لئلا يُنبش فيؤكل)[1].

وقال في حوادث سنة ٧١٨هـ: (وصلت الأخبار في المحرم من بلاد الجزيرة، وبلاد الشرق سنجار والموصل وماردين وتلك النواحي، بغلاء عظيم وفناء شديد، وقلة الأمطار وخوف التتار، وعدم الأقوات وغلاء الأسعار، وقلة النفقات، وزوال النعم وحلول النقم، بحيث أنهم أكلوا ما وجدوه من الجمادات

(١) البداية والنهاية ١٢/١٢١.

والحيوانات والميتات، وباعوا حتى أولادهم وأهاليهم، فبيع الولد بخمسين درهما وأقل من ذلك، حتى إن كثيراً كانوا لا يشترون من أولاد المسلمين، وكانت المرأة تصرح بأنها نصرانية ليُشترى منها ولدها لتنتفع بثمنه، ويحصل له من يطعمه فيعيش وتأمن عليه من الهلاك)(١).

قلت: هذه الحوادث والفواجع لا بد أن تكون باعثة لنا على شكر نعم الله علينا، ونحن في زمن قد بسط فيه الرزق، ولسنا بأكرم على الله منهم إن نحن عصيناه وخالفنا أمره.

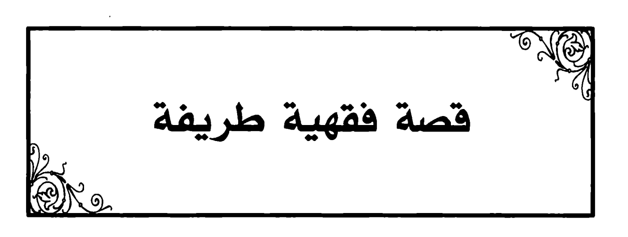
إن بقاء النعم وعدم زوالها مرهون بالشكر قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: ٧]، فلك اللهم الحمد على نعمك العظيمة وآلائك الجسيمة.

وفي هذا رسالة لمن يلقون الخبز وباقي الطعام في مكب النفايات، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرَأَى فِي بَيْتِي كِسْرَةً مُلْقَاةً فَمَشَى إِلَيْهَا فَشَمَّهَا، ثُمَّ أَكَلَهَا فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ أَحْسِنِي جِوَارَ نِعَمِ اللهِ فَإِنَّهَا قَلَّ مَا نَفَرَتْ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ فَكَادَتْ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِمْ)(٢).



(١) البداية والنهاية ١٤/٩٨.

(٢) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط ٦/٢٩٣ برقم: ٦٤٥١، والبيهقي فى شعب الإيمان ٤/١٣٢، برقم: ٤٥٥٧، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في إرواء الغليل ١٩٦١.



قصة فقهية طريفة

ماتت امرأة وجنينها يضطرب في بطنها، فسُئل عنها أشهب وابن القاسم، وكلاهما من أئمة المذهب، فأفتى أشهب بالبقْر (بقر البطن)، وأفتى ابن القاسم بعدمه.

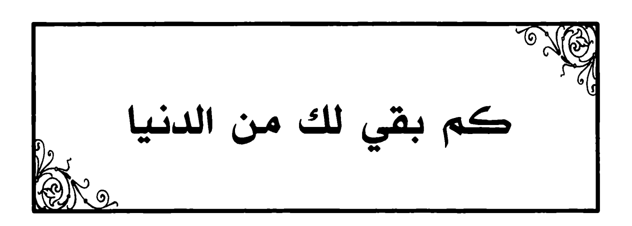
فعملوا فيها بكلام أشهب، فخرج الجنين حياً وكبر وصار عالما يُعلم العلم ويتبع قول أشهب ويدع قول ابن القاسم.

وذكروا عنه أيضاً أنه كان يأتي ابن القاسم ويقول: السلام عليك يامن قتلتني وأحياني الله.

فيرد عليه: وعليكم السلام يا من قتلتك السنة وأحيتك البدعة[1]!



(١) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني ١/٣٠٣.

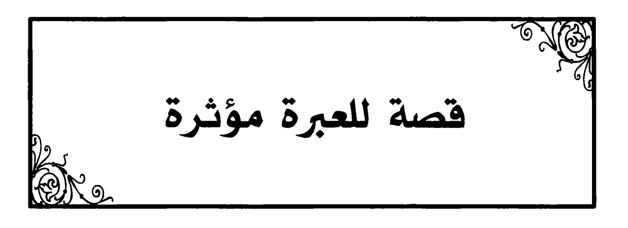


كم بقي لك من الدنيا

قال ابن السماك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الدنيا كلها قليل، والذي بقي منها قليل، والذي لك من الباقي قليل، ولم يبق من قليلك إلا قليل)[1].



(١) سير أعلام النبلاء ٨/٣٣٠.



قصة للعبرة مؤثرة

قال الأصمعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أقبل علي أعرابي جلف جاف على قعود له، متقلداً سيفه، وبيده قوس، فدنا وسلم، وقال من أين أقبلت؟

قلت: من مكان يتلى فيه كلام الرحمن، قال: أو للرحمن كلام يتلوه الآدميون؟!

فقلت: نعم يا أعرابي.

فقال: اتل علي شيئاً منه.

فابتدأت بسورة: الذاريات، حتى انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذّاريَات: ٢٢].

قال الأعرابي: هذا كلام الرحمن؟

قلت: إي والذي بعث محمداً بالحق إنه لكلامه أنزله على نبيه محمد ﷺ.

فقال لي: حسبك، فقام إلى ناقته فنحرها بسيفه، وقطعها قطعاً بجلدها، وقال: أعني على تفرقتها، فوزعناها على من أقبل وأدبر، ثم كسر سيفه، وقوسه، وجعلها تحت الرملة، وولى مدبراً

نحو البادية وهو يقول: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾ [الذّاريَات: ٢٢] يرددها، فلما غاب عني؛ أقبلت على نفسي ألومها.

قلت: يا أصمعي، قرأت القرآن منذ ثلاثين سنة ومررت بهذه الآية وأشباهها فلم تتنبه لما تنبه له هذا الأعرابي!

فحججت السنة مع هارون الرشيد أمير المؤمنين فبينا أنا أطوف بالكعبة إذا بهاتف يهتف بصوت رقيق يقول:

تعال يا أصمعي، تعال يا أصمعي!

فالتفت؛ فإذا أنا بالأعرابي فأخذ بيدي وأجلسني خلف المقام، فقال: اتل من كلام الرحمن الذي تتلوه فابتدأت أيضاً بسورة الذاريات، فلما انتهيت إلى قوله ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾ [الذّاريَات: ٢٢]، صاح الأعرابي وقال: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً.

ثم قال: يا أصمعي، هل غير هذا للرحمن كلام؟!

قلت: نعم يا أعرابي، يقول الله ﷻ: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝٢٣﴾ [الذّاريَات: ٢٣] فصاح الأعرابي وقال: يا سبحان الله!

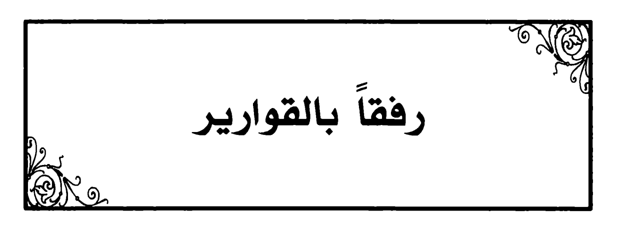
من ذا أغضب الجليل حتى يحلف؟ أفلم يصدقوه حتى ألجؤوه إلى اليمين!!

قالها ثلاثاً وخرجت روحه)[1].

قلت: هذا هو اليقين الحق بما عند الله، لكن أين نحن من هذا.

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ٣/٣٧٨، تفسير القرطبي ١٧/٤٢، أضواء البيان للشنقيطي ٨/٦.



رفقاً بالقوارير

عَنِ الْمِقْدَامِ بن مَعْدِي كَرِبٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: (إِنَّ اللهَ يُوصِيكُمْ بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، إِنَّ اللهَ يُوصِيكُمْ بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ، إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَتَزَوَّجُ الْمَرْأَةَ وَمَا تُعَلِّقُ يَدَاهَا الْخَيْطَ[1]، فَمَا يَرْغَبُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا عَنْ صَاحِبِهِ حَتَّى يَمُوتَا هَرَمًا)[2].

قال الحربي رحمه الله في غريب الحديث: قوله: (وَمَا تُعَلِّقُ يَدَاهَا الْخَيْطَ) يقول من صغرها وقلة رفقها فيصبر عليها حتى يموتا هرماً؛ لأن النبي ﷺ أوصاهم بنسائهم وأخبرهم بما يفعل أهل الكتاب من الوفاء بنسائهم والصبر عليهن، أي أن أهل الكتاب يفعلون ذلك بنسائهم، فأنتم أحق بذلك منهم[3].

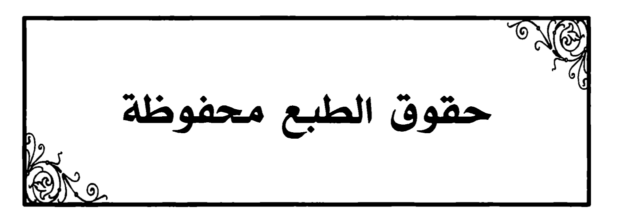
❀ ❀ ❀

---

(١) قال الإمام الألباني رحمه الله: قوله: (وما يعلق يداها الخيط) كناية عن صغر سنها وفقرها.

(٢) أخرجه الطبراني ٢٠/٢٧٤ رقم: ٦٤٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٨/٤٥، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٧/٤٢.

(٣) غريب الحديث للحربي ٣/١٢٢٠، من مطبوعات جامعة أم القرى.



حقوق الطبع محفوظة

قال المروذيُّ: (قلت لأبي عبدالله: رجل سقطت منه ورقة فيها أحاديث وفوائد فأخذتها، ترى أن أنسخها وأسمعها؟ قال: لا، إلا بإذن صاحبها)(١).

وجاء في إحياء علوم الدين للغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وسئل أحمد بن حنبل عمن سقطت منه ورقة فيها أحاديث، فهل لمن وجدها أن يكتب منها ثم يردها؟ فقال: لا بل يستأذن ثم يكتب، وهذا أيضاً قد يشك في أن صاحبها هل يرضى به أم لا، فما هو في محل الشك والأصل تحريمه فهو حرام، وتركه من الدرجة الأولى)(٢).



(١) كشاف القناع عن متن الإقناع ١٣/٦، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى ١٣٧/١١، الآداب الشرعية لابن مفلح ٢٦٢/٢.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ٤٤٢/١.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

❀ ❀ ❀